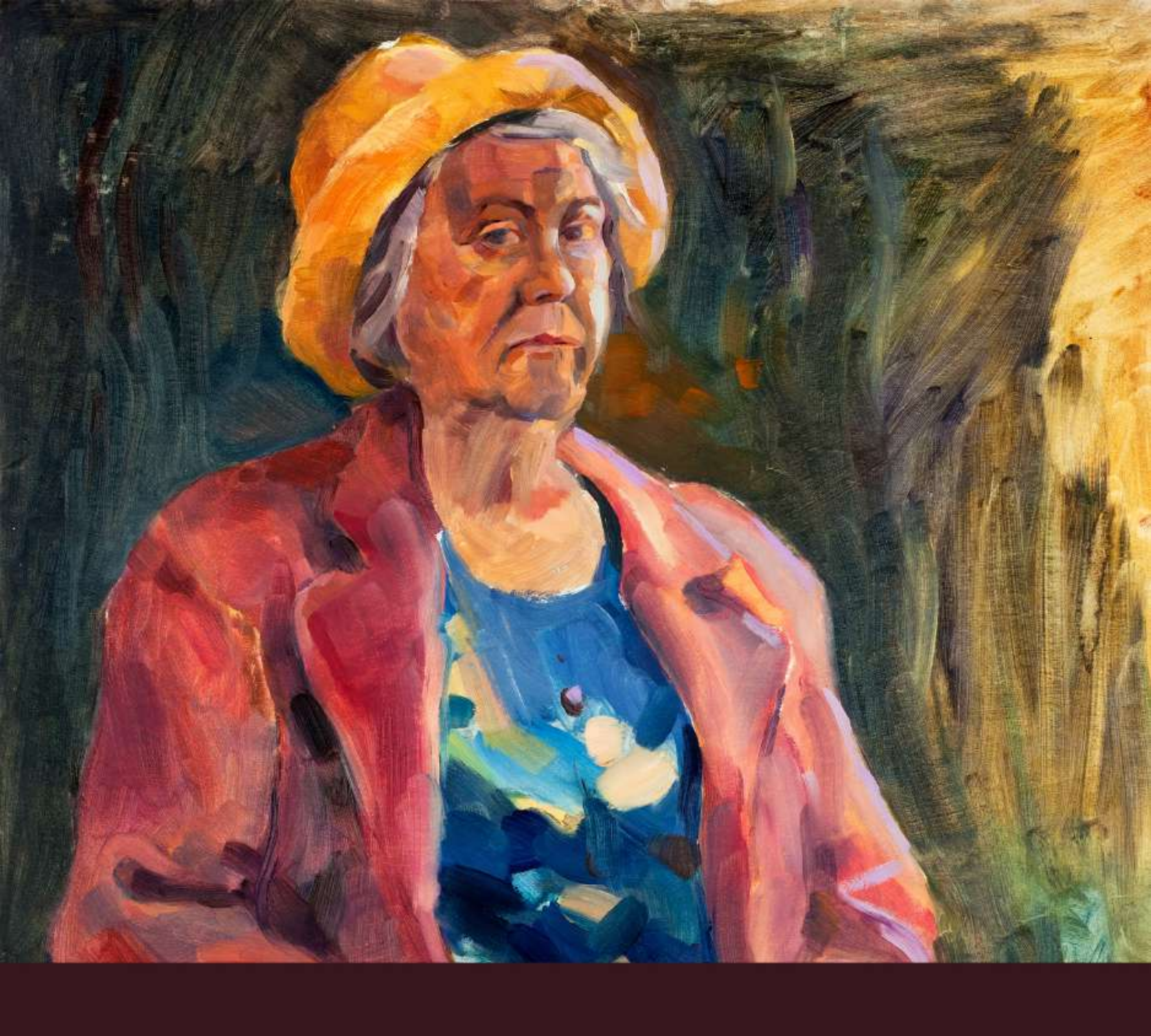


فريدريش دورينمات

زيارة السيدة العجوز

ترجمة مصطفى ماهر


تليجرام
هنا سور الازبكية
غواص في بحر الكتب
باحثون
محمد خطاب

زيارة السيدة العجوز

تأليف
فريدريش دورينمات

ترجمة
مصطفى ماهر

مراجعة
محمد محمد القصاص



زيارة السيدة العجوز

فريدريش دورينمات

Der Besuch der alten Dame

Friedrich Dürrenmatt

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ‎+ ٤٤ (٠) ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: ليلى يسري

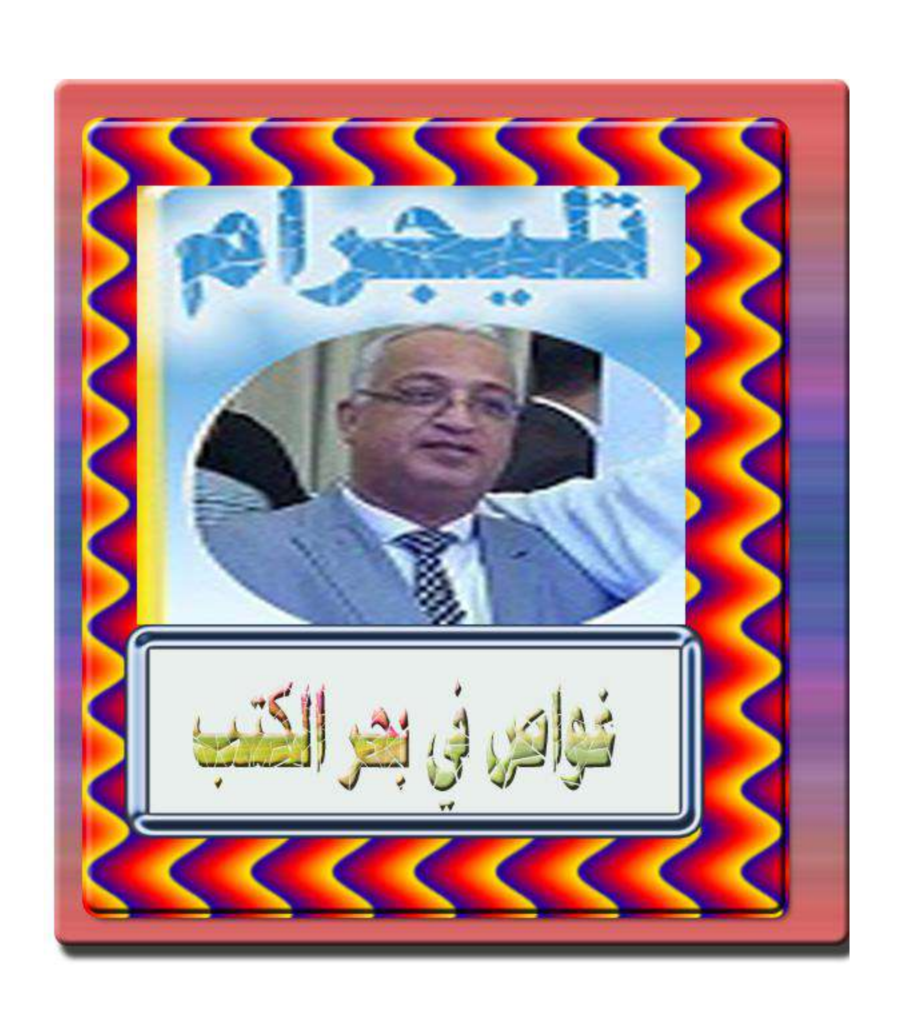
الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٣٦٠٣ ٢

صدر أصل هذا الكتاب باللغة الألمانية عام ١٩٥٦.
صدرت هذه الترجمة عام ١٩٦٤.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٤.

المحتويات

مقدمة	٧
أشخاص المسرحية	٢٧
الفصل الأول	٢٩
الفصل الثاني	٦٣
الفصل الثالث	٨٩




تليجرام
غواص في بحر الكتب

مقدمة

تختلف هزيمة ألمانيا عام ١٩٤٥م عن هزيمتها في عام ١٩١٨م اختلافًا بيِّنًا من كل الأوجه تقريبًا، وأبرز وجه للاختلاف يُهمُّنا ونحن نُمهِّد للحديث عن «زيارة السيدة العجوز» وصاحبها، هو إرادة العصر الذي تلا الانكسار مباشرة؛ فقد تبع عام ١٩١٨م اتساع لنشاط المدرسة التعبيرية Expressionismus، وإيمان بعصر جديد ولغة جديدة، إيمان بضرورة التحرر من التقاليد البالية، إيمان بـ «الإنسان الجديد». وإنْ كنَّا لا ننكر أن الفكر في تلك الآونة خالجته نزعات ما بعد الحروب من الخوف والتشاؤم والاستخفاف، ولكن الإيمان بالإنسان الجديد في عصر جديد تمكَّن من الجيل وأصبح سِمة العصر. أمَّا هزيمة ١٩٤٥م فقد أعقبها لا إيمان بقيم جديدة — إن صح أن نُعبِّر هكذا — أعقبها تصدُّع الكيان السياسي والتاريخي والاقتصادي والأخلاقي، واعتقد الإنسان الألماني بعدم جدوى الإنتاج والإبداع بعامة، والإنتاج والإبداع الفني الأدبي بخاصة؛ إذ إن نهاية العالم قد حلَّت أو هي توشك أن تحل. وبالفعل لم يكن هناك أدب اللهم إلا ما ارتد إلى ألمانيا من أدب مَنْ كانوا قد هجروها في عصر الرايخ الثالث.

ولنتناول معًا مسرحية «في الخارج أمام الباب» لفولفجانج بورشرت (وُلِد عام ١٩٢١م، ومات عام ١٩٤٧م)، تلك التي ألَّفها عام ١٩٤٦م في الخريف، وكتب تحت عنوانها: «قطعة لا يريد مسرح أن يُمثِّلها، ولا جمهور أن يشهدها.» يحكي عن رجل من كثيرين غابوا عن ألمانيا وطالت غيبتهم، فلمَّا رجعوا خاوية بطونهم، حافية أقدامهم إلى دُورهم، تبيَّنوا أنهم لم يرجعوا إلى دُورٍ لهم؛ لأن دُورهم لم يعد لها وجود، وأصبح مأواهم هناك «في الخارج أمام الباب»، هناك في الخارج أمام الباب كانت ألمانيا، كان وطنهم في الليل الدامس تحت المطر المنهمر، على قارعة الطريق. وقبل أن يبدأ المشهد الأول من هذه المسرحية، يعرض المؤلف مقدمة فيها رجل عجوز يبكي ويتحدَّث مع الحانوتي ومع الموت.

أمَّا الرجل العجوز الباكي، فيُفصح عن شخصيته قائلًا: أنا الرب الذي لم يعد يؤمن به أحد. ويقول عن سبب بكائه: «لأني لا أقوى على تغيير الحال. إنَّهم يقتلون أنفسهم بالرصاص. إنَّهم يشنقون أنفسهم. إنَّهم يُغرِقون أنفسهم. إنَّهم ينتحرون، اليوم مائة، غدًا مائة ألف. وأنا، أنا لا أقوى على تغيير شيء.» ثمَّ يتكلَّم الرب مع الموت على هذا النحو: «أنت الرب الجديد. بك يؤمنون، وإياك يخشون. أنت الرب الصمد. لا يُنكرك أحد، ولا يسبُّك أحد.»

ثم بدأ الأدب، فظهرت في ميونيخ جريدة أمريكية باللغة الألمانية اسمها «الصحيفة الجديدة Neue Zeitung» كتب فيها نفر من الألمان، نذكر منهم إريش كستنر Erich Kâstner، وأخرج الفرنسيون مجلة بالألمانية Lancelot، وأنشأ دوبلين Dôblin مجلة أسماها «الباب الذهبي Das goldene Tor»، وأعقبه هانس بيشكه Hans Paeschke، ويواخيم موراس J. Moras فأسسا مجلة «المركور، مجلة ألمانية للفكر الأوروبي» التي ظهرت أول الأمر في بادن بادن، ثم انتقلت إلى ميونيخ. كانت هذه المجلات والجرائد تُعنى بالسياسة وأمورها، وتهتم إلى جانب ذلك بالأدب، خاصة ما كان منه عالميًّا، ثم ظهرت طبعات شعبية من الروايات العالمية المترجمة، كانت في أول أمرها أقرب من ناحية إخراجها إلى المجلات، ثم ما لبثت أن اتَّخذت شكل «كتب الجيب». وفي عام ١٩٤٦م أخرج ألفريد أندرش Alfred Andersch، وهانس فرنر رشتر Richter مجلة «النداء Ruf»، غلب عليها الطابع السياسي، على نحو لم يتفق وسياسة السلطات الأمريكية فأوقفتها.

فلمَّا أُوقِفت مجلة «النداء» اجتمعت في عام ١٩٤٧م في دار الأديبة إلزه شنايدر-لانجيل Ilse Schneider-Iangyel في ألجوى جماعة من الأدباء والصحفيين وأرادوا أن يُخرجوا مجلة جديدة باسم «العقرب Der Skorpion» بدل النداء الموقفة، لكن هانس فرنر رشتر أخبر المجتمعين بأنَّ المجلة المقترحة لن يُسمح بخروجها، فقرَّرت الجماعة التي أُطلق عليها «جماعة ٤٧» نسبة إلى عام اجتماعها، أن تعقد كل عام اجتماعًا يُطالع فيه الأدباء ما يُنشئون من أدب، ويُسمَح لمن يشاء أن ينقده كما يريد. كانت الجماعة في أول أمرها تضم أسماءً، منها:

- هانس فرنر رشتر
- ألفريد أندرش
- هاينس ألريش
- فالتر كولبنهوف
- هاينتس فريدريش

- أرنست كرويدر
- نيكولاوس زومبرت

وفي الأعوام التالية، برزت أسماء أعضاء جُدد، نذكر منهم:

- إلزه أيشنجر
- إنجبورج باخمان
- فالترينز
- هاينرش بل
- أرنست شنابل
- زيجفريد لينتس
- أوفه يونزن
- هانس ماجنوس إننتسنسبرجر
- جوتنر جراس

وكان الاجتماع يستمر عدة أيام، ويُسمح للمشترك بساعة يتلو فيها من أدبه المطبوع أو غير المطبوع ما يختاره، ثم ينقده الحاضرون بما يلوح لهم. وبمرور الزمن تكوَّنت فئة من النقَّاد المتخصصين أمثال فالترينز، ووُجِّهت الدعوة إلى الصحفيين، والناشرين، وأساتذة الجامعات لحضور الاجتماعات. وفي عام ١٩٥٠م كوَّن لفيف من الناشرين جائزة أسموها «جائزة جماعة ٤٧» مُنحت في الفترة من ١٩٥٠م إلى ١٩٥٧م إلى جونتر أيش، وهاينرش بل، وإلزه أيشنجر، وإنجبورج باخمان، ومريين، وفالزر، وجونتر جراس.

وقد عرضنا لهذه الجماعة بشيءٍ من التفصيل؛ لنُبيِّن كيف خرجت من نشاطها وتوجيهها أعمال الأدب الألماني المعاصر في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية في أنواع الأدب الغنائي، والمقالة، والرواية، والقصة. واكتسب طائفة منها أهمية كبيرة في خارج ألمانيا، وخاصة أعمال «هاينرش بل» و«جونتر جراس» و«زيجفريد لينتس».

أمَّا المسرح فأمره يختلف؛ لم تتكوَّن من أجله جماعة مثل جماعة ٤٧، ولم يتَّجه إليه من جماعة ٤٧ إلا نفر قليل في الفترة الأخيرة (مثلًا زيجفريد لينتس في مسرحيته المشهورة «وقت الأبرياء»). ظلَّ المسرح الألماني إذن يعيش على مسرحياته القديمة ذات القدم الراسخ، من أعمال جوته، وشيللر، ولسنج، وكلايست، وعلى القليل الجديد، مثل «في الخارج أمام الباب» التي مُثِّلت في هامبورج صبيحة وفاة صاحبها، ولقيت نجاحًا هائلًا،

واحتلَّت مسارح ألمانيا كلها في وقتٍ وجيز، ثم على «المسرحيات المستوردة» في أغلب الأحيان، أو لِنَقُل «المسرحيات المصدَّرَة.» فإنَّ دول الاحتلال كانت تفرض على المسارح الألمانية مسرحياتها التي كانت تعتقد أنَّها تُمثِّل ثقافتها. فمُثِّلت مسرحيات لأونيل؛ مثل وراء الأفق Beyond the Horizon والقرد الكثيف الشعر The Hairy Ape، ثم عفى عليها النسيان، ومُثِّلت مسرحيات لوايدر، وميللر، وويليام، فثبتت أقدامها، وعمَّ أثرها على نحو عميق. كذلك مُثِّلت مسرحيات لكُتاب فرنسيين مثل: كلوديل، وجيرودو، وأنوي، ومونترلان، وسارتر.

وطال إحجام الألمان عن المسرح حتى ظهر قطبان سويسريَّان كبيران، فأنشآ للمسرح الألماني (بالمعنى الواسع لكلمة ألماني) مسرحيات جديدة أصيلة، ما لبثت أن اجتازت الحدود الألمانية إلى الدنيا كلها؛ ماكس فريش، وفريدريش دورينمات.

أمَّا ماكس فريش Max Frisch فقد وُلِد في مدينة زيوريخ في ١٥ مايو ١٩١١م، ودرس آداب اللغة الألمانية، حتى كان عام ١٩٣٢م فانقطع عن الدرس واحترف الصحافة، وتنقَّل من أجلها بين البلقان، وتركيا، وتشيكوسلوفاكيا، والمجر، واليونان، وإيطاليا. ثمَّ تحوَّل عن الصحافة إلى فن العمارة وهندسة المباني، وأصبح مهندسًا معماريًّا ناجحًا. وانتهى به المطاف إلى الأدب بفنونه المتعددة؛ من مقالات وقصص إلى روايات ومسرحيات، فأبدع فيها جميعًا إبداعًا تعدَّت شهرته البلاد الناطقة بالألمانية إلى بلاد الدنيا البلد بعد الآخر. وأول ما لفت أنظار الألمان إليه مسرحيته «ها هم يعودون إلى الغناء» Nun singen sie wieder بعد الحرب العالمية الثانية بقليل؛ إذ وجدوا فيها صوتًا ألمانيًّا يدَوِّي قويًّا في الفضاء بأشياء تجيش في صدورهم ولا يَقْدرون — وقد انكسروا في الحرب — أن يكسوها كلامًا، ويُنشئوا منها خلقًا آخر. وتتابعت أعماله تؤكد زعامته، نذكر منها:

- «فلمَّا انتهت الحرب» ١٩٤٨م
- «سور الصين» ١٩٤٦م و١٩٥٥م
- «جراف أودرلاند» ١٩٥١م
- «دون جوان أو حب الهندسة» ١٩٥٢م

ونُشير بصفة خاصة إلى يومياته التي اشتهر بها:

- «أوراق من جوال الخبز» ١٩٤٠م
- «يوميات مع مارينون» ١٩٤٧م
- «يوميات» ١٩٤٦م–١٩٤٩م

وأمَّا فريدريش دورينمات Friedrich Dürrenmatt فقد وُلِد في ٥ يناير عام ١٩٢١م؛ أي بعد مولد ماكس فريش بنحو عشر سنوات. وُلد في كونولفينجن Konolfingen من أعمال برن بسويسرا، لأب راعٍ بروتستانتي، ربما تمنَّى أن يُصبح ابنه يومًا خلفه في مهنته، لكن ابنه اتجه وجهة كثيرًا ما نلحظها في أبناء الرعاة البروتستانتيين، وتتلخص في العزوف عن الدراسات اللاهوتية، والإبداع في ألوان قد تتعارض مع اللاهوت تعارضًا تامًّا. وربما كفانا أن نشير إلى أسماء لسنج، ونيتشه. بعد أن أتمَّ فريدريش دورينمات دراسته الثانوية في برن، درس الفلسفة والأدب واللاهوت في جامعَتَي برن وزيوريخ. واحترف الخط والرسم في أول الأمر حتى عام ١٩٤٠م، فكتب أولى محاولاته المسرحية قطعة لم يلبث أن أنكرها إنكارًا، فعمَد إلى النثر، وأخرج مجموعة من القصص القصيرة. وفي عام ١٩٤٣م أنشأ كوميديا لم تُطبع ولم تُمثَّل، وإنَّما نعرف عنها القليل مما ذكره بعض النقَّاد، وخاصة ما كتبه هانس بنتسيجر Hans Bänziger في كتابه عن ماكس فريش، وفريدريش دورينمات الذي أخرجه إلى الناس في عام ١٩٦٠م. في مقدمة هذه الكوميديا تحدَّث دورينمات عن هدفه كما يجول في مخيلته، فقال إنَّه «صياغة المكان في أدب يتجه ناحية الكلمة.» وفسَّر تلك العبارة الصعبة قائلًا إنَّ كل شيء عند الإغريق كان له أهمية؛ لأنَّ كل شيء عند الإغريق كان محددًا في المكان، أمَّا الآن فإنَّنا «نعيش في اللامكان يُحيط بنا ما لا جوهر له ولا معنى. هناك الدولة، والدين، والفن، ولكنَّها غير مرتبطة معًا بصلة؛ بل هي أشياء مجردة طغى عليها التكنيك وطغت عليها صورة ما لا جوهر له.» لهذا كان علينا أن «نخلق مكانًا.» نخلقه بالعقل؛ حتى تعود الكلمة فتُعبِّر عن الكل وقد اندمج وأصبح شيئًا واحدًا متحدًا … فإذا لم نفعل ذلك حطَّمنا أنفسنا؛ لأنَّ الأشياء ستتجه إلى داخلها وتتحوَّل إلى التحطيم. في هذه القطعة المبكرة يُعالج دورينمات الفكرة في غلظة وعنف كأنَّما هو في معركة يصول ويجول. وتتلخص فكرة تلك الكوميديا في أنَّ آلة هائلة ذات قدرة تحطيمية خطيرة جبَّارة يتم صنعها في بعض المصانع، فيقول آدم لصانعها: «لا بد أن ترد هذه القوة إلى الأقوى، والأقوى هو الله.» لكن آدم يتلقَّى حق التصرف فيها، ثم يتدخَّل ثالث في الأمر فيَحدث انفجار مُروِّع يأتي على كل شيء.

ودورينمات على حق في إنكاره هذه القطعة؛ لأنَّها غير ناضجة، ولكن النقَّاد بلا شك على حق في الاهتمام بهذه المحاولة الأولى؛ لأنَّها تحتوي على عنصر هام، يكاد يلازم كل ما أنشأ دورينمات بعد ذلك، على نحو ما سنوضح فيما بعد.

ثم أنشأ في عام ١٩٤٦م مسرحية «مكتوب Es steht geschrieben» هي أول عمل عبقري له بمعنى الكلمة، ثم ألَّف في عام ١٩٤٧م مسرحية الأعمى Der Blinde، وفي عام ١٩٤٩م مسرحية رومولوس الأكبر Romulus der Grose التي ثبَّتت أقدامه بحق في

زيوريخ. وفي عام ١٩٥٢م أخرج مسرحية زواج السيد مسيسيبي Die Ehe des Herrn Mississippi، تلك المسرحية التي رفعت اسمه إلى قمة الشهرة في ألمانيا. وفي عام ١٩٥٦م أبدع مسرحية «زيارة السيدة العجوز»، التي تُعتبر بحق أعظم أعماله كلها على الإطلاق، وتُعتبر من أعظم أعمال الأدب الألماني، بل من أعظم ما أنتج العقل البشري في ميدان المسرحية عامة. ومن الطبيعي أن تَلقى هذه القطعة نجاحًا فريدًا، وأن تُمثَّل على أشهر مسارح العالم من نيويورك إلى موسكو. وفي عام ١٩٦٢م ظهرت مسرحيته علماء الطبيعة Die Physiker التي تُعتبر تحولًا مفاجئًا في إنتاج دورينمات إلى الكلاسيكية. وقد أسماها دورينمات نفسه «Mein erstes Klassisches Stück»؛ أي أُولى مسرحياتي الكلاسيكية؛ كلاسيكية لأنَّه التزم فيها وحدة المكان ووحدة الزمان، واقتصد في الشخصيات، وأوجز في الكلام، وجعل الحدث يملأ مدَّته بالضبط، لا يزيد عنها ولا ينقص، وجعله يدور في مكان واحد يشمله كما يشمل الجلد اللحم.

وعلماء الطبيعة تعالج موضوعًا بوليسيًّا، موضوع جريمة Kriminalstoff، وهو موضوع مُحبب إلى نفس دورينمات، يغلب على أعماله على نحو واضح، وقد أنشأ عددًا من الروايات البوليسية. نذكر منها:

- القضية.
- القاضي وجلاده.

يُعتبر دورينمات أكثر رجال المسرح الناطقين بالألمانية موهبة، يكاد النقَّاد يُجمعون على ذلك إجماعًا. ومن خصائص موهبته أنَّها تَمد جذورها إلى قاعدة الثقافة الإنسانية، فتسبر غورها وتقوم بجذعها وفروعها وأوراقها وسط الحاضر إلى آخر ما تطور إليه من علوم وضعية أبرزها الطبيعة النووية. ونحن في معرض الكشف عن أصول دورينمات؛ نقف أول ما نقف عند قوله: «إنني أقرأ قليلًا جدًّا، لا أقرأ من الإنتاج الحديث غير ما كان متعلقًا بالعلوم الطبيعية، وأعرف الكلاسيكيين طبعًا.» ولا يعنينا في هذا المقام أن نبحث في مدى صدق دورينمات في وصفه لكمية ما يقرأ بقليل جدًّا، ولا البحث عن المعيار الذي قاس عليه هذه الكمية فوجدها على نحو ما وجد، وإنَّما يهمنا التأكيد على نواحٍ جوهرية تُعيننا على إجادة فهمه:

أولًا: أنَّه يقرأ في العلوم الطبيعية بشغف وخاصة في الطبيعة النووية، وهذا يوضِّح فكرته عن القنبلة الذرية — القنبلة الذرية التي يكاد يُشير إليها في كل مسرحياته — ودورينمات

يقول في تحديد عالمنا الحاضر: «لقد انساق عالمنا إلى المهزلة كما انساق إلى القنبلة الذرية.» فهو إذن يرى أنَّ عالمنا الحاضر يُحدده أمران يراهما مترابِطَين؛ القنبلة الذرية والمهزلة. في عام ١٩٥٥م ألقى دورينمات محاضرة عن «مشاكل المسرح» تساءل فيها عن إمكانية تمثيل العالم الحالي على المسرح، ثم أجاب بقوله: «لقد فقدَت الدولة شكلها، وليس من الممكن تمثيلها إلا في صورة إحصائيات مثل علم الفيزياء الذي لا يُمكنه أن يُعبِّر عن الدنيا إلا بمعادلات رياضية. والظاهر أنَّ القوة في عصرنا لن تكون صورة إلا عندما تنفجر في قنبلة ذرية ... والقنبلة الذرية لم يعد في الإمكان تصويرها من يوم تمكَّن الإنسان من صناعتها.» ثم يعود في عام ١٩٥٦م إلى القنبلة الذرية في قصته العطل Die Panne رافعًا إيَّاها إلى درجة إله العصر الحاضر أو بديله، يقول: «لم يعُد يخيف الناس إله ولا عدالة ولا قدر ... وإنَّما يُخيف الناس حوادث المواصلات، تكَسُّر الجسور نتيجة خطأ في بناء مصانع للقنابل الذرية.» وفي زيارة السيدة العجوز تنشد الجوقة:

«الفظائع كثيرة؛
زلازل هائلة،
جبال تنفث النيران، فيضانات البحور،
حروب، دبابات خلال حقول القمح
لها صليل،
الفطر الشمسي للقنبلة الذرية.»

أمَّا «علماء الطبيعة» فهي تتويج لاهتمام دورينمات بالطبيعة النووية. أسمع أينشتاين فيها يقول عند الختام:

> «أنا الذي صُغْت هذه المعادلة: الطاقة = كتلة المادة المتحوِّلة × مربع سرعة الضوء، تلك المعادلة التي كانت بمثابة مفتاح المادة إلى طاقة. أنا أحب الإنسانية، وأحب كماني، لكنَّهم صنعوا القنبلة الذرية بناءً على توصيتي.»

ثانيًا: أنَّه يعرِف الكلاسيكيين، وخاصة الإغريق معرفة تامة، ويؤكِّد ذلك بكلمة طبعًا. والظاهر أنَّ فكرته عن تفكُّك العالم الحاضر تفكُّكًا يحول في نظره دون التمكن من تجسيمه في عمل فني متكامل؛ مأخوذة من الإغريق على نحو تصوير نيتشه في كتابه «تولد التراجيديا من روح الموسيقى». وقد سبقت الإشارة إلى تأكيد دورينمات على أنَّ كل شيء

عند الإغريق كان مُحدد المكان، وأنَّ كل شيء كان داخلًا في كل متكامل ينتظمه، ويكفي الإشارة إلى الفن عند الإغريق، لم يكن هناك فن كلام منفصل، وفن رقص منفصل، وفن غناء منفصل، وإنَّما كان هناك عمل فني متكامل يضم الفنون جميعًا. وشخصية المعلم في «زيارة السيدة العجوز»، هي الجسر الموصل بين يوم المحدثين وأمس الإغريق، المعلم لا يكف عن رد حاضره الأوروبي إلى ماضيه الكلاسيكي، الكلاسيكي الإغريقي أولًا، ثم الكلاسيكي العام ثانيًا. ولننظر إلى منظر «الرسول الذهبي» والعمدة والمعلم يجلسان فيه إلى مائدة، ويحتسيان الخمر ويتحدثان، ولنسمع حديثهما، وبخاصة حديث المعلم؛ لنتأكَّد من ذلك الجسر الرابط بين القديم والحديث:

العمدة: «حقائب ثم حقائب، تِلال من الحقائب، وقبل ذلك حُمل قفص به نمر إلى فوق، حيوان أسود متوحش.

المعلم: وأمَّا النعش فقد أمرت بوضعه في حجرة خاصة. عجيب.

العمدة: شهيرات سيدات العالم لهن هواياتهن.

المعلم: يبدو أنَّها تُزمع البقاء هنا مدة أطول.

العمدة: خيرًا. إل متمكن منها. ناداها قُطيطتي البرِّيَّة وساحرتي الصغيرة. سوف يغرف منها ملايين. في صحتها يا معلم. في صحة إنقاذ كلير تساخاناسيان مؤسسة بوكمان.

المعلم: ومصانع فاجنر.

العمدة: وساحة الكوخ المشمس. فإنَّها إن نهضت نهض كل شيء؛ البلدية، المدرسة الثانوية، الرخاء عامة.

(يقرعان كأسيهما.)

المعلم: صحَّحت تمرينات تلاميذ جوللين في اللغة اللاتينية واللغة الإغريقية منذ أكثر من عَقدَين من السنين، فلم أعرف معنى الرجفة، يا سيادة العمدة، إلا منذ ساعة. مرعبًا كان نزول السيدة العجوز من القطار بملابسها السوداء. تهيأت لي كبارسة، كربَّة القدر الإغريقية، كان الأحرى أن تُسمى كلوتو لا كلير؛ فإنَّ هيئتها تبعث على الاعتقاد بأنَّ في مقدورها أن تغزل خيوط حياة البشر.

(الشرطي يأتي، يُعلِّق خوذته على مشجب.)

العمدة: اجلس إلينا، يا عسكري.

(الشرطي يجلس إليهما.)

الشرطي: ليس العمل في هذا العش متعة، لكن الخراب بدأ يزدهر. كنتُ لتوي مع صاحبة المليارات والبدَّال إل في شونة بيتر. منظر مؤثر. كان الاثنان خاشعين كأنَّهما في كنيسة، فتحرَّجت من ملازمتهما، وابتعدت لَما اتَّجهَا إلى غابة كونراد سفايل. مَوكِب بمعنى الكلمة، إلى الأمام الهودج، إلى جانبه إل، وإلى الخلف مدير الأعمال وزوجها السابع حاملًا الشص.

المعلم: استهلاك الرجال. لايس أخرى.

الشرطي: وثمة رجلان قصيران سمينان، لا يعلم أحد أمرهما.

المعلم: نزلا من ملكوت الموت.

العمدة: أنا مندهش، عمَّا يبحثان في غابة كونراد سفايل.

الشرطي: يبحثان عمَّا بحثَا عنه في شونة بيتر، يا عمدة. إنَّهما يرجعان إلى الأماكن التي التهبت فيها عاطفتهم، إن صحَّ هذا التعبير.

المعلم: لهبًا متأججًا. على المرء أن يعود بذاكرته إلى شيكسبير، روميو وجولييت. سادتي، لقد اهتزَّ كياني اهتزازًا. لأول مرة أحس في جوللين بالعظمة القديمة.

العمدة: قبل كل شيء، نشرب الآن نخب حبيبنا الطيب إل الذي يبذل كل جهد ممكن في سبيل تحسين حالنا. سادتي، في صحة أحب مواطن في البلدة، في صحة خَلَفي.»

المعلم يرد الخبرات الحديثة التي تمر عليه إلى أصولها القديمة «لأول مرة أحس في جوللين بالعظمة القديمة.» فهو عندما يرى السيدة العجوز نازلة من القطار مرتدية ملابس سوداء تخطو نحو أهل جوللين الذين ينتظرون منها إنقاذهم من الخراب المادي الذي حلَّ بهم؛ يربط بينها وبين ربَّات القدر عند الإغريق، حتى اسمها «كلير» يتحوَّر في ذهنه منسجمًا مع الصورة الجديدة إلى «كلوتر». وفي معرض الحديث عن الرجلين السمينين القصيرين يقول المعلم إنَّهما «نزلا من ملكوت الموت.»، من الأركوس عند الرومان والإغريق، وهو ملكوت الموت أو العالم السفلي عندهم يرويه نهران «ستيكس» و«آخيرون» ويعثو فيه كلب جهنمي يحرسه سيربيروس، وينقسم الملكوت إلى دار للمنعَّمِين ودار للمعلونِين.

ثالثًا: دورينمات يعرف المحدَثِين حق المعرفة، ويحمل في إنتاجه العبقري آثار عبقريتهم، وإن كان قد تجاوز في تصريحه المشار إليه الحديث عنهم، ولكنَّه أشار إلى كثير منهم في تعليقاته ومحاضراته ومقالاته. تأثَّر دورينمات ببرتولت برشت الكاتب المسرحي الألماني الشيوعي المعروف، وتأثَّر بأديب إيطاليا الأشهر لويجي بيراندللو، وتأثَّر خاصة بثورتنون وايلدر وبمسرحيته بلدتنا Our Town التي مُثِّلت أول ما مُثِّلت على مسرح زيوريخ Das Züricher Schauspiel haus في عام ١٩٣٩م، وكان دورينمات في الثامنة عشرة من عمره، تلك المسرحية التي حفرت في أذهان الناس الصورة الحاسمة لذروة ما يُمكن تحقيقه في عمل مسرحي حديث. هذا بالإضافة إلى كثير من المؤلفين التأثيريين والطبيعيين المتأخرين. كذلك نذكر في هذا المقام بيكيت ومسرحيته En attendant Godot، وديلان توماس ومسرحيته Under Milkwood.

تدور أحداث «زيارة السيدة العجوز» في بلدة صغيرة اسمها جوللين، تقع في مكان ما غير مُحدَّد، وراء الحدود الألمانية السويسرية في الوقت الحاضر، وتبدأ بمظاهر استعداد البلدة لاستقبال السيدة الثريَّة الطاعنة في السن «كلير تساخاناسيان»، صاحبة الملايين العديدة، ابنة البلدة، وكان اسمها قبل أن تغادرها كلارا فيشر، نسبة إلى أبيها الذي كان يعمل بَنَّاءً رقيق الحال ... تأتي الآن لتزور البلدة بعد غيبة طويلة دامت عشرات السنين، أموالها لا تُحصى، أزواجها كثيرون كثرة تجعلها تخلط بينهم خلطًا. أمَّا زوجها الأول فصاحب آبار البترول الأرمني «تساخاناسيان» الذي ورثت عنه ثروته الطائلة، وورثت عنه كثيرًا من الحيل وأفانين تحقيق المآرب. ثم لَمَّا تُوفِّي ظلَّت تتزوج وتُطلِّق، متنقِّلة بين أزواج يُمثِّلون المهن المختلفة، والطبقات المختلفة، والأعمار المختلفة، كلهم من ذوي الشهرة الواسعة، حتى انتهت عند بدء أحداث المسرحية إلى الزوج رقم ٧.

أمَّا جوللين فقد أصابها من الخراب المفاجئ ما أصاب كلارا من الثراء المفاجئ، انتهى حالها إلى بؤس لا يوصف، لا يجد الناس معه ما يأكلون أو يلبسون أو يعملون، كل المصانع أقفلت أبوابها، كل المؤسسات الاقتصادية تحطَّمت، فلمَّا سمع أهل البلدة بقدوم بنت بلدهم كلارا فيشر صاحبة المليارات لزيارة بلدهم؛ خفق قلبهم، ووضعوا أملهم كله في هبة تهبها إياهم، أو مساعدة تُساعدهم بها، فتخرجهم بها من الخراب إلى الرخاء. العمدة يقف عند محطة السكك الحديدية، يجمع أعيان البلدة، إن صح تسميتهم بهذا الاسم؛ فقد حلَّ بهم الفقر، ولم يعد مظهرهم الرث يوحي بمكانة رفيعة. ويتفاهمون والعمدة في إعداد استقبال مُؤثِّر لصاحبة الملايين عندما تطأ أرض مسقط رأسها، حتى يرق قلبها، فتدس

يدها في كنزها وتغرف لهم منه غرفًا. واهتمام أهل البلدة مركَّز على البَدَّال «إل» الذي كان صديق كلارا أيام صباها في البلدة، وكان الحب يربط بين قلبيهما. وإل رجل في الستين من عمره تقريبًا، يروي كيف كانت كليري صبية رائعة الجمال، عنيفة الطبع، عاطفية الميول، ويتحسَّر على الأيام التي فرَّقت بينهما بعد حب عنيف. ولا يكاد يصل إلى تمام كلامه حتى تظهر كلير تساخاناسيان نازلة من القطار السريع الذي لم يحدث أن توقَّف في جوللين، تلك المحطة الصغيرة الخربة؛ فقد جذبت كلير تساخاناسيان، صاحبة الملايين، فرملة الطوارئ؛ حيث أرادت أن تنزل، وشرع ينزل وراءها مَن معها؛ زوجها وحاشيتها وأربعة من ماضِغِي اللادن كانوا من المجرمين العُتاة ينتظرون الموت في سجن سنج سنج، فأخرجتهم بمالها، وكلَّفتهم بحَمل هودجها الذي يحلو لها أن تتنقَّل فوقه، واثنان من الخِصْيَان أعميان، يفرحان فرح الأطفال الصغار، ويكرران الكلام آليًّا مرتين.

ويضطرب أهل البلدة اضطرابًا لوصولها قبل الموعد الذي قدروه لوصولها، ثم يُجمِعون أمرهم قدر الاستطاعة، ويجتهدون في الترحيب بها أمام المحطة، وفي فندق «الرسول الذهبي»، حيث يُلقي العمدة خطبة مطوَّلة يُضمِّنها تصويرًا مبالَغًا فيه، كله نفاق وتزلُّف، يستميل بها صاحبة الملايين، لكنَّها تقطع الكلام، وتعلن باختصار أنَّها مستعدة لتقديم مليار كامل هدية إلى البلدة بشرط أن تُمكَّن من الحصول على العدل، يعني بشرط أن يوجد بين القوم من يقتل التاجر «إل». ويُدهَش أهل البلدة؛ فقد كانت كلير تساخاناسيان طول الوقت منذ وصولها إلى البلدة برفقة إل، يتنقلان بين الأماكن التي شهدت حبهما، ويستحييان الماضي، وها هي ذي الآن تُطالب برأسه، وعلة ذلك أنَّ علاقتها بإل في عام ١٩١٠م، قبل أربعين سنة، أثمرت طفلة تنكَّر لها أبوها كل التنكر، وتخلَّى عن أمها، فأقامت ضده دعوى إثبات بنوة، فما كان من إل إلا أن أحضر شاهدين كاذبين مرتشيين أقسما أمام المحكمة أنَّهما كانا على علاقة بكلارا فيشر، فحكمت المحكمة برفض الدعوى. هذان الشاهدان هما الخَصيَّان اللذان تمكَّنَتْ من الحصول عليهما بعد أن أَثْرت وازداد نفوذها، جلبت أحدهما من أستراليا والآخر من كندا، لم يفلتا منها بهربهما في كل طرف من أطراف الدنيا الواسعة. فلمَّا استحوذت عليهما حرمتهما من البصر، وجرَّدتهما من الرجولة وضمَّتْهما إلى حاشيتها. وأمَّا مدير أعمالها الذي شرح للحاضرين القضية تفصيلًا، فهو القاضي الذي رأس المحكمة التي نظرت دعوى البنوة عندما رفعتها كلارا ضد إل. أغرته المليونيرة بالمال فترك وظيفته وانضمَّ إلى حاشيتها يُدير أعمالها ويُتابع قضيتها.

رفض عمدة جوللين طلب المليونيرة فور استماعه إليه؛ متعلِّلًا بالتمسك بمُثُل ومقومات «الثقافة الغربية». لكن الحياة في جوللين بدأت تتغير تدريجيًّا؛ بدأ الناس يوسعون على أنفسهم ويشترون طعامًا أجود، وشرابًا أحسن، ويقتنون السيارات، ويجددون العمران. بدأ الناس يعيشون عيشة من أدخل في حسابه أنَّ ثروة هائلة في الطريق إليه، يذهبون إلى المتاجر فيشترون على الحساب، وأصحاب المتاجر يمنحونهم القروض كلَّما أرادوا. ويحس إل بالقلق؛ إنَّه لا يملك إلا أن يبيع للناس على الحساب هو أيضًا؛ فليس في مقدوره وحده أن يَسْبَح ضد التيار، ولكنَّه يتوقع أنَّ الأمور تتطوَّر ضده. أمَّا كلير تساخاناسيان فتظل في فندق «الرسول الذهبي» تعيش حياتها وتنتظر نتيجة حتمية، تنتظر محصلة القوى. تعيش حياتها فتترك الزوج رقم ٧، وتتزوج الزوج رقم ٨، وهو ممثل سينمائي شاب جميل، ثم لا تلبث أن تدعه لتتزوج التاسع، وهو عالِم حائز على جائزة نوبل.

وهنا يفلت النمر الأسود الذي أتت به معها، يفلت من قفصه وينطلق في البلدة، من مكان إلى مكان، فيحمل أهل البلدة أسلحتهم دفاعًا عن النفس. وما إن يرى إل الأسلحة في أيدي الناس حتى يتأكَّد أنَّ حياته في خطر لا شك فيه. فيُقرر الهجرة، ويحمل حقيبته إلى القطار، ولكنَّه لا يستطيع التقدم خطوة، لا لأنَّ أحدًا يمنعه، ولكن لأنَّه وقع في شباك خوفه، وأصبح أسير ذنبه الذي اقترفه ولا يستطيع الإفلات منه، فيشق بنفسه جو الانتظار السلمي الذي فرضته كلير تساخاناسيان، ويذهب فيضع نفسه تحت تصرف محكمة مواطنيه.

ووسط اجتماع أهل البلدة يقف العمدة فيضع مضمون الحادثة في شكل مُلفَّق للوصول إلى الهدف، فيرفع إل الذي انتهى معنويًّا إلى قمة التكريم مبلغًا الصحافة أنَّ الهبة التي منحتها المليونيرة للبلدة قد أتَّت بفضل توسط صديق صباها السيد إل. ويصطف المواطنون صفين، يسير بينهما إل حتى يبلغ منتهاهما فينطبقان عليه، ثم يعودان إلى الانفراج، فإذا إل ممد على الأرض جثة هامدة. فيقول الطبيب: سكتة قلبية. وتُفسِّر الصحافة: أَصَابَتْه من الفرح.

وهنا تأمر كلير تساخاناسيان النعش أن يؤتى به، النعش الذي أحضرته معها يوم حضورها، فيوضع به إل، وتُبْلغ المليونيرة الزوج رقم ٩ بأنَّها لا حاجة بها إليه قائلة: «لقد وجدت حبيبي.» ويتلقَّى العمدة شيكًا بمليار.

ربما اعتقد الإنسان متعجِّلًا أنَّ موضوع القطعة هو أنَّ صاحب المال يُمكنه أن يشتري بماله كل شيء، صاحبة الملايين تشتري العدالة، تمامًا كما تشتري إيقاف القطار حيث

تريد بمالها. وإنَّما الموضوع في صميمه هو: التغير الأوتوماتيكي البشع في أخلاق الناس؛ إذ يُحرِّك توقعهم الحصول على مليار ضميرهم الخلقي على نحو يجعلهم يعتقدون أنَّهم يُقيمون العدل وهم يقتلون مواطنًا من أهلهم «إل». لم يخطر ببال واحد منهم أن يسأل بني عشيرته المجتمعين للقضاء على إل: كم منهم هجر صديقته بطفل تنكَّر له؟ بغض النظر عن الآثام الأخرى. الإثم الذي حدث لصاحبة الملايين، هو في نظرهم «الضرب من الآثام الذي لا بد من التكفير عنه»؛ أي إنَّ العدالة شيء نسبي يُمنح لمن استطاع إلى شرائه سبيلًا. تلك هي الحقيقة الهدمية التي تتوصَّل إليها هذه الكوميديا التراجيدية.

زيارة السيدة العجوز تراجيديا وكوميديا في آنٍ واحد، هي نوع أدبي مسرحي، ليس دورينمات أول من عالجه، ولكنَّه في معالجته له على هذا النحو مُجدِّد فيه من ناحية أصوله الفلسفية. ذكرنا أنَّ دورينمات متأثر بالفيزياء والفيزياء النووية تأثرًا مختلطًا بتأثره بالأدباء الأقدمين والحديثين. وأظهر ما أدَّى إليه اشتغاله بالفيزياء هو رفضه الأبطال ورفضه التراجيديا البحتة، ودفعه إياها إلى الكوميديا، يقول: «إنَّ الكوميديا هي النوع الوحيد الذي يتفق معنا، لقد انساق عالمنا إلى المهزلة انسياقه إلى القنبلة الذرية، تمامًا كما أنَّ الصور الغامضة التي رسمها هيرونيموس بوش مضحكة.»

وهيرونيموس بوش H. Bosch ذلك الذي يستشهد به دورينمات، رسام هولندي (من حوالي ١٤٥٠م إلى ١٥١٦م) رسم لوحات عجيبة فيها روح المغامرة، مستوحاة من تصورات العصور الوسطى، وفيها تفصيلات كثيرة، غبية مضحكة.

من لوحاته المشهورة «حديقة اللذات»، «الجحيم»، «جنة الدنيا وجنة الآخرة»، «انتصار الموت»، و«يوم الحساب».

«زيارة السيدة العجوز» كوميديا؛ لأنَّها تستخدم وسائل الكوميديا المختلفة وتُحسِن استخدامها:

فالأسماء في غالبيتها منتقاة على نحو يبعث على الضحك، أسماء الحاشية تنتهي بـ «بي»؛ توبي، روبي، كوبي، لوبي … إلخ. والمصوِّر اسمه «تسيمت»، يعني «قرفة»، والمُحضَر اسمه «جلوتس»، يعني «بحلق»، والطبيب اسمه «نوسلين»، يعني «بندقية صغيرة» … إلى آخر هذه الأسماء.

وهناك التصرفات المضحكة؛ فالبلدة وقد أصابها ما أصابها من الكساد، لم يَعُد بها سوى قبعة واحدة تصلح للاستقبالات الهامة؛ لهذا اتفق أعيان البلدة على استعمالها على التوالي، يلبسها الواحد منهم أثناء مثوله بين يدي صاحبة الملايين، وعندما يفرغ يتناولها الثاني سرًّا ويُمثِّل دوره. وربما كان أعظم التصرفات المضحكة بالقطعة كلها، خطبة العمدة التي يلقيها في فندق الرسول الذهبي للترحيب بكلير تساخاناسيان. وتتميَّز بعمق جذورها، فالمشاهِد يُطالع حيرة العمدة وأهل البلدة في بحثهم وراء تفصيلات يستعين بها العمدة في خطبته:

العمدة: «لا بد لي من تفصيلات عن السيدة تساخاناسيان أستعين بها في خطبتي الصغيرة التي سأُلقيها عند الغداء في فندق «الرسول الذهبي».

(يُخرِج مُذكِّرة من جيبه.)

المعلم: لقد فتَّشت السجلات المدرسية تفتيشًا دقيقًا. إنَّ درجات كلارا فيشر — للأسف الشديد — درجات بالغة الرداءة حتى في السلوك، إلا في علم النبات والحيوان؛ فدرجاتها متوسطة.

العمدة (مثبتًا ذلك في مذكرته): حسنًا، درجات متوسطة في علم النبات والحيوان، هذا حسن.

إل: هنا يُمكنني أن أقدِّم العون للعمدة. كانت كلارا تُحب العدل، بكل ما في ذلك من معنًى. حدث ذات مرة أن اقتاد بعض الشرطة متشردًا فانهالت عليه بالحجارة.

العمدة: حب العدل. لا بأس. نقطة لها دائمًا تأثيرها، ولكن يَحسُن أن نُغفل ما فعلت بالشرطي.

إل: كذلك كانت مُحسنة؛ كانت توزِّع ما تملك، وحدث مرة أن سرقت بعض البطاطس من أجل أرملة فقيرة.

العمدة: ميل إلى البر والإحسان. هذه النقطة، يا سادة، نقطة لا بد أن أوردها. إنَّها أهم نقطة. هل يذكر أحدكم مبنًى أقامه أبوها؟ فلا بأس بالإشارة إلى هذا في الخطبة.

جميعًا: لا أحد.

العمدة يقفل مذكرته.»

هذه جذور الخطبة. ليس فيها ما يُثير الضحك، اللهم إلا حيرة العمدة ومحاولته خلق نواحِي عظمة في كلارا بالإكراه. وهو في ارتباكه لم يُلمَّ بالمعلومات الأساسية المتعلقة

بموضوع الخطبة. ويجلس إلى جواره إل، أثناء إلقاء الخطبة، ويهمس إليه مرارًا وتكرارًا مصححًا:

العمدة: «والدتكِ العظيمة القوية الصحة (إل يهمس إليه بشيء) التي اختطفتها يد المنون في شبابها المبكر ضحية السُّل، ووالدكِ الرجل الشعبي الذي أقام عند محطة السكك الحديدية بناءً يحظى بالكثير من الزائرين المختصين وغير المختصين (إل يهمس إليه بشيء) بناء يَلقى الكثير من الاهتمام؛ يعيشان في فِكْرنا دائمًا بيننا كأحسننا وأشجعنا.»

أمَّا هذا المبنى، فقد علم المُشاهد أمره من أول القطعة، عندما نزلت كلير تساخاناسيان البلدة ووقفت تتأمله (خلال نظَّارتها المُرصَّعة بالجواهر الكريمة) لتقول:

كلير تساخاناسيان: «هذه المراحيض العمومية أقامها أبي يا موبي. بناء متين، دقيق. وكنت وأنا طفلة أجلس ساعات طوالًا على السطح وأبصق موجهة البصاق إلى تحت، لكن إلى الرجال فقط.»

وما إن ينتهي العمدة من خطبته المرقعة حتى تنهض كلير تساخاناسيان وتُكمل كوميديا مهارتها في المدرسة، وكوميديا البطاطس التي سرقتها.

وهناك الشخصان القصيران السمينان اللذان يسيران، ويتكلَّمان، ويتحركان كالعرائس أو كالآلات. وأهم ما يُميزهما هو تكرار الجمل مرتين، تكرارًا أوتوماتيكيًّا، والتكرار الأوتوماتيكي وسيلة من وسائل الكوميديا. كما يتميَّزان بالبله؛ فهما إذا سِيقَا مثلًا ضحِكا وتماسكا فرحين. وعلى النقيض منهما العملاقان حاملا الهودج، فإذا وقفا جميعًا برزت نواحي التناقض المضحك، وبرزت المميزات المضحكة للخصيَّين بروزًا.

أمَّا كلير تساخاناسيان فهي قلب الكوميديا بلا شك. أنشأ دورينمات شخصيتها في مسرحيته على نموذج واقعي حي، هو نموذج الممثلة العبقرية تيريزه جيزه Therese Giehse (وتأثره بشخصية تيريزه جيزه لا يقتصر على دور كلير تساخاناسيان، وإنَّما يتجاوزه إلى أدوار عديدة أهمها دور «الآنسة الدكتورة ماتيلده فون إتساند» في مسرحية «علماء الطبيعة» التي أهداها النسخة المطبوعة منها). وإنَّ المرء ليتملَّكه العجب عندما يُشاهد تيريزه جيزة تُجسِّم دور المليونيرة العجوز تجسيمًا تامًّا، وتلوح له كشبح اكتسى بعض اللحم والدم وكثيرًا من العصبية التي تُقارب الهوس، وتتحرَّك في عالم يبحث له عن وزن ومكان. تتكلم بجمل قصيرة متفرقة لا تربطها إلا نادرًا. استمع إليها وهي ترد على مداهنة إل لها بقوله: «أما أنتِ فقد بقيتِ كما كنتِ، ساحرتي الصغيرة.»

«آه، قل غير ذلك./لقد هرمتُ وسمنتُ أنا أيضًا./بل وفقدت ساقي اليسرى./حادثة سيارة./من يومها لا أُسافر إلا بالقطارات السريعة./لكن الساق التعويضية ممتازة، ألا ترى ذلك أيضًا؟/تتحرَّك بسهولة.»

ومن أبرز صفات شخصية المليونيرة كلير تساخاناسيان أنَّها — على حد وصف دورينمات نفسه لها — «مستحيلة». تتصرَّف كما يحلو لها، إذا أرادت أن تنزل في بلدة صغيرة خربة، لم تكلِّف مشقة ركوب قطار الرُّكاب، بل ركبت القطار السريع الذي يعجبها، ثم شدَّت فرملة الطوارئ ونزلت، فإذا تبرَّم محصل القطار أو الريس أسكتته بمالها. تشتري ما تريد بكلمة، وتقيم ما تريد بكلمة. والناس يضعون أيديهم على قلوبهم خوفًا من «المصادفة» التي تنساب مع كل كلمة تقولها. ولا تنطق كلماتها بالمصادفة من النوع المألوف، وإنَّما هي مصادفة أقرب إلى الحقيقة العلمية التي يُمكن التنبؤ بها قبل حدوثها؛ فهي في حديثها مع القس، ومع الطبيب؛ تعرف مقدمًا أنَّ إل سيموت، وسيموت بسكتة قلبية:

كلير تساخاناسيان: «آه، كاهن. هل أنت معتاد على مواساة المحتضرين؟
القس (مندهشًا)**:** أجتهد في ذلك.
كلير تساخاناسيان: ومواساة أولئك الذين حُكِم عليهم بالإعدام أيضًا؟
القس (مضطربًا)**:** عقوبة الإعدام ملغاة في بلدنا، يا سيدتي الجليلة.
كلير تساخاناسيان: ربما تُعاد ثانية.
كلير تساخاناسيان: طريف. هل تُصدر شهادات الوفاة؟
الطبيب (يَتلَجْلَج)**:** شهادات وفاة؟
كلير تساخاناسيان: هل يموت بعض الناس؟
الطبيب: طبعًا، يا سيدتي الكريمة. واجبي. بأمر من السلطات.
كلير تساخاناسيان: توقَّع حدوث سكتة قلبية في المستقبل.»

السيدة العجوز كما يعرفها «دورينمات» لا تُمثِّل العدل، ولا تُمثِّل إعانة المحتاجين (مثل مشروع مارشال) ولا تُمثِّل غموضًا لاهوتيًّا (كغموض الرؤيا اليوحنية). إنَّها صاحبة ملايين عديدة، ملايين عديدة تمنحها قوة تصرُّف مُطلَق كبطلات التراجيديا الإغريقية. وهي بعيدة عن الناس وبعيدة عن نفسها أيضًا، تتحرَّك خارج النظام الإنساني فيجعلها ذلك جامدة لا تتبدَّل، إلا بقدر ما يتحوَّل الحجر إلى صنم.

ومشكلتها مع إل هي مشكلة حبها له حبًّا لم يستطعِ الموتَ، وحبُّه لها الذي مات، لم يستطع حبها الموتَ ولم يستطع الحياة أيضًا. «تحوَّل إلى شيء شرير مثلي تمامًا، مثل الفُطر الباهتة والجذور العمياء في هذه الغابة تحت أكداس ملياراتي الذهبية، ملياراتي الذهبية هاجمتك، مَدَّت إليك (كالأخطبوط) ملامسها تطلب حياتك؛ لأنَّ حياتك ملكي إلى الأبد، والآن تضمك ملامسها، والآن تنتهي. بعد قليل لن يبقَى شيء سوى حبيب ميت في ذاكرتي، شبح رقيق في غلاله مهدمة.» وهي بدافع من هذا الحب المتحوِّل إلى شر قد تنقَّلت من زوج إلى زوج، من عالِم إلى وزير، إلى ممثل، إلى رجل اقتصاد، إلى غير هذا وذاك، وعبثت بكل ما شاء لها العبث، ولكن نفسها الملتهبة لن تهدأ حتى ترى إل جثة هامدة، فتنظر إليه جامدة لتقول:

«لقد عاد إلى ما كان عليه قبل وقت طويل، النمر الأسود. غطِّه. احملوه إلى النعش.»

هنا ارتاحت؛ فقد رأت الحب الميت في جسد ميت.

في «الملاحظة» التي ختم بها المسرحية يتحدَّث دورينمات عن الأبطال حديثًا عابرًا، يصح أن نتناوله في ختام هذه الدراسة بشيء من التوضيح. يقول عن كلير تساخاناسيان: «كلير تساخاناسيان لا تُمثل العدل ولا تُمثل مشروع مارشال ولا تُمثل الرؤية اليوحنية، لتكن ما هي، أغنى امرأة في العالم؛ تُمكِّنها ثروتها من التصرف كبطلة من بطلات التراجيديا الإغريقية تصرفًا مطلقًا؛ فظيعًا، كميديا مثلًا.» ثمَّ يتحدَّث عن أهل جوللين: «أهالي جوللين يَدخلون في زمرة الأبطال، وهم بشر مثلنا جميعًا.»

والحقيقة أنَّ أعمال دورينمات مثلها مثل الأعمال التي أنتجها أدب ما بعد الحرب العالمية الثانية، تتميَّز «بعدم وجود أبطال»، «بإنكار الأبطال» إنكارًا، ونقصد هنا الأبطال على مفهوم شيللر. دورينمات نفسه يقول في «مشاكل المسرح»: العالم (وبالتالي المسرح الذي يُمثِّل العالم) أمامي شيء هائل فظيع، لغز في المصائب، وينبغي أن يُقبَل وألَّا يحدث أمامه تراجُع. العالم أضخم من الإنسان، وهو يتخذ بالضرورة سمات مخيفة، سمات ما كانت لتُصبح مخيفة لو أتت من نقطة خارجة عنه، ولكني لا أمتلك لا حق ولا قدرة الوقوف خارجه. والتعزي عن ذلك في الأدب أمر — غالبًا — بالغ الرخص، والأقرب إلى الصدق أن تحتفظ بزاوية النظر الإنسانية: «هنا ابتعاد عن الأبطال بالمعنى الشيللري، وابتكار لمن يأخذون محلهم». وبديل البطل عند دورينمات وكثيرين غيره هو «الرجل الشجاع» Der tapfere Mensch. ويرى دورينمات أنَّ التطور من البطل إلى الرجل أو الإنسان الشجاع قد

مرَّ بمراحل. لغاية هيبل Hebbel كان مركز الدراما معقودًا لشخصية في حيرة ميتافيزيقية، لشخصية البطل. فلمَّا جاء لويجي بيراندللو جعل البطل شفافًا transparent. وجاءت الحرب وانتهت الحرب، وانتهى معها من الثقافة الألمانية «بطل الحرب» وجرَّ في أذياله البطل عامة. في رومولوس الأكبر بطل من مستوى الأبطال الذين تتطلبهم أصول المسرح في عصر الباروك، ولكنَّه لا يستطيع أن يموت موت الأبطال، ولا يستطيع كذلك أن يُنظِّم مقاومة الدولة المتداعية، فينتهي أمره إلى «الإحالة إلى المعاش». في «مكتوب» بطل آخر مُحال إلى المعاش، هو كنيبردوللينك بطل «سلبي»، وإن شئت فاعتبر المسرحية دراما لا أبطال؛ إذ إنَّ شخصيات بوكلسون، وأسقف منستر المطرود وغيرهم، شخصيات أقوى من الناحية المسرحية وألمع من كنيبردوللينك ذاته.

هناك إذن محاولة لإقامة بطل تدور حوله الدراما، ولكنَّها محاولة تنتهي بإحالته إلى «المعاش»، بتَبَيُّن أنَّه ليس «من هذا العالم». ويرتبط بتحوُّر شخصية البطل على هذا النحو، تحوُّر شكل «الدراما» إلى الكوميديا. هو تحوُّر سبق أن تنبأ بوقوعه الحتمي هجل والرومانتيكيون المبكرون. والجديد أنَّ الكوميديا الجديدة لها «كرامة» تسمح بمعالجة المواد الجادة دون إساءة إلى جديتها. بل إنَّ هذه الجدية تتأكَّد تأكدًا وسط الجو المتناقض، وأقوى تناقض في أعمال دورينمات تناقض هذا العالم و«الأشياء التي ليست من هذا العالم».

في كل مسرحيات دورينمات توتُّر بين العالم التقليدي وبين قُوًى خارجية تندفع فيه. عالم التقاليد يُمثِّله في مسرحية «مكتوب» أسقف منستر وحقه القديم في المدينة، ويُمثله في مسرحية «رومولوس الأكبر» رغبة البلاط القيصري في المقاومة، وفي «زيارة السيدة العجوز» الأخلاق البورجوازية المطَّاطة لأهل جوللين، وفي مسرحية «جاء الملاك إلى بابل» يُمثله حب المال والسلطان. أمَّا القوة التي تندفع في عالم التقاليد فيُمثِّلها في «رومولوس الأكبر» القيصر نفسه ونسيانه واجبه، وفي «زيارة السيدة العجوز» كلير تساخاناسيان في رحلة الانتقام، وفي «جاء الملاك إلى بابل» يُمثِّلها الملاك والحسناء كوروبي، التي يحملها بعد خروجها من يد الخالق مباشرة إلى دنيا البشر الفاسدة.

هذه الشخصيات الممثِّلة للقوة المندفعة إلى قلب عالم التقاليد، شخصيات متناقضة، لا تُمثِّل البطولة، بل تُمثِّل عدم المسئولية. كلير تساخاناسيان تضرب بالمعايير الإنسانية عرض الحائط، وتُنفِّذ خطة الانتقام غير عابئة، لا توقفها رحمة، ولا تهزها توسُّلات. كذلك الملاك في «جاء الملاك إلى بابل»، وبوكيلسون في «مكتوب» … والتوتر الحادث بين

اللامسئولية من ناحية وبين عالم التقاليد من ناحية أخرى هو أساس الكوميديا التراجية عند دورينمات. والناحية التراجية محصورة في الجدية. أمَّا الموت فلم يعد ذلك الموت المعروف في التراجيديات البحتة، بل تحوَّل إلى «قتل»، أو إن شئت فقل «موت على يد الجلاد»، واللابطولية في ذلك الموت واضحة. ونتج عن ذلك أن ظهرت شخصية «الجلاد» في أعمال دورينمات، واحتلَّت مكان المركز فيها جميعًا. والجلَّاد أو من يمثله أو يمثلونه يقومون بعملهم أو يؤدون مهمتهم في جو احتفالي يعوِّض عظمة الموت التراجي المعروف. الجلاد في «رومولوس الأكبر» يُمثِّله رومولوس ذاته، وفي «جاء الملاك إلى بابل» السائل أكي الذي يؤدي بحسناء السماء، وفي «زيارة السيدة العجوز» كلير تساخاناسيان التي أتت إلى جوللين خصوصًا «لتعدم» إل، وحوَّلت أهل جوللين جميعًا إلى «جلادين».

وتتضح هذه البدعة المميزة لأعمال دورينمات أعمق التمييز في «حوار ليلي». هذا الحوار يدور بين «الرجل»، وهو هنا «المفكر» و«الأديب»، وبين آخر كان موجودًا في غير جسد، ثم دخل بجسده حين جنَّ الليل على الأديب. وليس هذا الآخر إلا «الجلاد»، جلاد «الأديب». أمَّا الجلاد فيحكي للأديب عن حالات الموت التاجي العظيم التي شهدها، فيقول الأديب: «ماتوا ميتة الشجعان! ليت الكثيرين يموتون تلك الميتة في هذه الأيام!» لكنَّ الجلاد يُجيب عليه: «إنَّ العجيب في الأمر يا سيدي، هو أنَّ الناس في هذه الأيام لم يعودوا يموتون تلك الميتة.» ثم يسأل الأديب: «أنا مندهش، ماذا طرأ على العالم في هذه الأيام؟» فيُجيب الجلَّاد: «طرأ عليه الجلَّاد يا صديقي! أنا نفسي كنت أريد أن أموت بطلًا، وها أنا ذا وحدي معك.»

دكتور مصطفى ماهر

دكتوراه في الآداب الألمانية بدرجة الشرف الأولى

أشخاص المسرحية

الزائرون:

كلير تساخاناسيان، قبل الزواج: كلارا فيشر Claire Zachanassian, geb. Wâscher

صاحبة ملايين عديدة. «أرمنيان أويل»،

أزواجها من السابع إلى التاسع.

مدير أعمالها:

توبي Teby: من ماضغي اللادن

روبي Roby: من ماضغي اللادن

كوبي Kooy: أعميان

لوبي Loby: أعميان

المزارون:

إل Ill

زوجته

ابنته

ابنه

العمدة

القس

المُعلم

الشرطي

الأول: مواطنون

الثاني: مواطنون

الثالث: مواطنون

الرابع: مواطنون

المصور

امرأة أولى

امرأة ثانية

الأنسة لويزة Frâulein Luise

الآخرون:

ناظر محطة السكك الحديدية

ريس القطار

محصل القطار

الُمحضَر

المضايقون:

صحفي ١

صحفي ٢

مراسل الإذاعة

مصوِّر

المكان: جوللين Güllen، بلدة صغيرة

الزمان: الوقت الحاضر.

بعد الفصل الثاني فترة.

الفصل الأول

أجراس محطة سكك حديدية تُدوِّي قبل رفع الستار، بعدئذٍ لافتة: جوللين. واضح أنَّه اسم البلدة الصغيرة، التي تبدو مخططة الملامح في المؤخرة، محطمة، خربة. كذلك مبنى المحطة خرب، تارةً بحواجز وتارةً بدون حواجز، حسب المنطقة، لوحة مواعيد القيام والوصول مُقطَّعة على الحائط، مقصورة التحويل والإشارة يعلوها الصدأ، باب عليه لافتة: ممنوع الدخول. ثُمَّ في الوسط شارع المحطة البائس. كذلك الشارع يبدو مجرد مخطط. إلى اليسار بيت صغير بائس وسقفه من القرميد، لافتات مُهَلْهَلة على الحائط غير ذي النوافذ. إلى اليسار لوحة: سيدات. إلى اليمين: رجال. كل هذه الأشياء غارقة في شمس خريفية حارة. أمام البيت الصغير مقعد، عليه أربعة رجال. رجل خامس، بائس إلى درجة لا يبلغها الوصف، يكتب على لوحة شفافة بلون أحمر، يبدو أنَّها لاستقبال الموكب. مرحبًا بكِ يا كليري.[1] دويٌّ صاخب صادر من قطارٍ سريعٍ عابر. أمام المحطة ناظر المحطة يؤدي التحية. يظهر أنَّ الرجال الجالسين على المقعد يلاحقون القطار السريع المنطلق بنظراتهم، وذلك بتحويل رءوسهم من اليسار إلى اليمين.

الأول: السريع «جودرون»، هامبورج–نابلي.

الثاني: الساعة الحادية عشرة والدقيقة السابعة والعشرون يأتي السريع «رولاند الصاخب»، فينيسيا–ستوكهولم.

---

[1] كليري صيغة التدليل من كلارا. أمَّا كلير فهو الاسم نفسه باللغة الفرنسية، ويبدو أنَّ كلارا اتَّخذت الصورة الفرنسية لاسمها بعد أن أصبحت من صاحبات المليارات، أو أنَّها اتخذتها لسخطها على سنواتها الأولى في جوللين. (المترجم)

الثالث: المتعة الوحيدة التي بَقيت لنا هي ملاحقة القطارات بأبصارنا.

الرابع: قبل خمس سنوات كان «جودرون» و«رولاند الصاخب» يتوقفان في جوللين. وكذلك كان «ديبلومات» و«لوريلاي»، وكلها قطارات سريعة ذات أهمية.

الأول: ذات أهمية عالمية.

الثاني: والآن لا تتوقَّف حتى قطارات الركاب، اللهم إلا قطاران يقومان من كافيجن، وقطار الساعة الواحدة والدقيقة الثالثة عشرة، الذي يصل من كالبرشتات.

الثالث: لقد حلَّ بنا الدمار.

الرابع: انهارت مصانع فاجنر.

الأول: وأفلس بوكمان.

الثاني: وانهار «ميدان الكوخ المشمس».

الثالث: وها نحن نعيش على إعانة البطالة.

الرابع: وعلى تكية الحساء.

الأول: وهل هذه عيشة؟

الثاني: عيشة وضيعة.

الثالث: عيشة متدهورة.

الرابع: البلدة كلها.

(رنين جرس.)

الثاني: أزف موعد وصول صاحبة المليارات. يُقال إنَّها أنشأت مستشفًى في «كالبرشتات».

الثالث: وفي «كافيجن» أنشأت دارًا للحضانة، وكنيسة تذكارية في العاصمة.

المصور: وعهدت إلى تسيمت،[2] المصور الطبيعي التافه بأن يرسم لها صورة.

الأول: يا لها ولأموالها: شركة النفط الأرمنية ملكها، وكذلك السكك الحديدية الغربية، وشركة الإذاعة الشمالية، وحي الملاهي في هونج كونج.

(ضوضاء قطار، ناظر المحطة يؤدي التحية، الرجال يتابعون القطار العابر بإدارة رءوسهم من اليمين إلى الشمال.)

[2] اسم علم، معناه حرفيًّا = قرفة. (المترجم)

الرابع: القطار السريع «ديبلومات».
الثالث: فضلًا عن هذا، كانت مدينتنا مدينة ثقافية.
الثاني: من أولى المدن في الدولة.
الأول: في أوروبا.
الرابع: جوته[3] أمضى هنا إحدى الليالي. في فندق «الرسول[4] الذهبي».
الثالث: وبرامس[5] ألَّف فيها إحدى رباعياته.

(رنين جرس.)

الثاني: وهنا اخترع برتولد شفارتس[6] اخترع ملح البارود.
المصور: وأنا تخرَّجت بامتياز من «الإيكول دي بوزار»،[7] وماذا أعمل الآن؟ أرسم لافتات!

(ضوضاء قطار. إلى اليسار يظهر محصل القطار، ويبدو كما لو كان قد قفز من القطار لتوه.)

المحصل (في صراخ ممطوط)**:** جوللين.
الأول: قطار الركاب الآتي من كافيجن.

(نزل مسافر، يمر من ناحية اليسار على الرجال القاعدين على المقعد، ثم يختفي داخل الباب الذي يحمل اللافتة: رجال.)

الثاني: المُحضَر.

---

[3] شاعر وأديب ألمانيا الأشهر. ولد عام ١٧٤٩م وتوفي عام ١٨٣٢م. من أشهر مؤلفاته؛ آلام فرتر، فاوست، الديوان الغربي الشرقي، شعر وحقيقة. (المترجم)

[4] الرسول هنا من حواري المسيح. وكلمة «الذهبي» ساخرة؛ لأنَّ الفندق في حالة يُرثَى لها. (المترجم)

[5] يوهانيس برامس، مؤلف موسيقي ألماني من هامبورج، ولد عام ١٨٣٣م وتوفي عام ١٨٩٧م. ألَّف أنواعًا مختلفة لاقت الشهرة والخلود؛ منها أغاني وموسيقى الحجرة، وسيمفونيات ... إلخ. (المترجم)

[6] راهب ألماني، ولد في فرايبورج/برايسجاو في مطلع القرن الرابع عشر. يُقال إنَّه اخترع ملح البارود. والمؤكَّد على أي حال أنَّه هو الذي صبَّ أوَّل المدافع البرونزية التي استعملها أهل فينيسيا. (المترجم)

[7] كلية الفنون الجميلة في باريس، L'Ecole des Beaux Arts.

الثالث: ذاهب ليحجز على دار البلدية.

الرابع: لقد اندحرنا سياسيًّا أيضًا.

ناظر المحطة: يرفع المؤشر: قيام!

(من ناحية البلد يأتي العمدة، والمعلم، والقس، وإل، وهو رجل في نحو الخامسة والستين من عمره، جميعهم في ملابس بائسة مهلهلة.)

العمدة: ستأتي الضيفة العظيمة بقطار الساعة الواحدة والدقيقة الثالثة عشرة القادم من كالبرشتات.

المعلم: فتستقبلها بالغناء فرقة الكورال المختلطة، وفرقة الشباب.

المُحضَر: ويدق لها ناقوس المطافي. إنَّه لم يرهن بعد.

العمدة: وفي ميدان السوق ستصدح فرقة موسيقى البلدة ويُقيم الاتحاد الرياضي هرمًا تكريمًا لصاحبة المليارات. ثم يُقدَّم غداء في فندق «الرسول الذهبي». للأسف لا تكفي الموارد المالية لإنارة الكنيسة ودار البلدية بالليل.

(المُحضَر يخرج من المبنى الصغير.)

المُحضَر: صباح الخير يا سيادة العمدة. تحية قلبية خالصة.

العمدة: ماذا تريد أن تصنع هنا، يا سيادة المُحضَر جلوتس؟[٨]

المُحضَر: أنت تعرف يا سيادة العمدة، عليَّ مهمة ثقيلة؛ الحجز على مدينة بأسرها.

العمدة: لن تجد في دار البلدية سوى آلة كاتبة قديمة.

المُحضَر: إنَّك تنسى متحف جوللين القومي يا سيادة العمدة.

العمدة: لقد بعناه منذ ثلاثة أعوام إلى مشترٍ من أمريكا. كل خزاناتنا خاوية. لا أحد يدفع ضرائب.

المُحضَر: الأمر يحتاج إلى بحث. الدولة كلها مزدهرة، إلا جوللين، ذات «ميدان الكوخ المشمس»، فإنَّها مفلسة.

القس: إنَّنا أنفسنا في حيرة من أمر هذا اللغز الاقتصادي.

الأول: كل ذلك من تدبير جماعة الماسونية.

---

[٨] اسم علم مبتكر اشتقاقًا من فعل بالألمانية معناه يحملق أو يبحلق، مثل «بحلق». (المترجم)

الثاني: اليهود هم الذين دبَّروها.
الثالث: إصبع أصحاب المال الكبار وراءها.
الرابع: الشيوعية العالمية ترتب ترتيبها.

(رنين جرس.)

المُحضَر: من عادتي أن أجد دائمًا شيئًا. إنَّ لي عينين كعيني الصقر. فلأذهب الآن وأفتش في خزانة البلدة.

(يخرج.)

العمدة: من الخير أن ينهبنا الآن من أن ينهبنا بعد زيارة صاحبة المليارات.

(الرسام أتمَّ اللافتة.)

إل: هذا لا يصح طبعًا يا عمدة، اللافتة فيها رفع للكلفة زيادة عن الحد. لا بد أن تكون العبارة: مرحبًا بكلير تساخاناسيان.
الأول: ولكنَّها كليري.
الثاني: كليري فيشر.
الثالث: لقد نشأت هنا.
الرابع: وكان أبوها بنَّاء.
المصور: إذن فلأكتب: مرحبًا بكلير تساخاناسيان على ظهر اللافتة؛ فإن ظهَر الامتعاض على صاحبة المليارات، استطعنا أن نُدير اللافتة.
الثاني: قطار «بورزيانر»، زيورخ-هامبورج.
الثالث: دائمًا في موعده، حتى إنَّ الإنسان يستطيع أن يضبط عليه ساعته.

(قطار سريع آخر ينطلق من اليمين إلى اليسار.)

الرابع: العفو، ومن منَّا لا يزال يملك ساعة.
العمدة: سادتي، إنَّ صاحبة المليارات هي أملنا الوحيد.
القس: بعد الله.
العمدة: بعد الله.
المعلم: لكنَّ الله لا يدفع مالًا.

العمدة: لقد كنت صديقًا لها يا إل، فكل أملنا معقود على همتك.

القس: لكنكما افترقتما بعد ذلك. وقد سمعت حكاية غامضة، هل تريد أن تقوم بالاعتراف لقسك؟

إل: لقد كنَّا أعز صديقين — شباب وقوة — كنت آنذاك أيها السادة شابًّا يافعًا، وذلك قبل خمسة وأربعين عامًا، أمَّا هي، كلارا، فإنَّني لا أزال أراها في مُخيلتي حينما كانت تطلع علَيَّ بنورها عبر ظلام شونة بيتر، أو تأتيني حافية خلال غابة كونراد سفايل بين الطحالب والورق، بشعرها الأحمر المتطاير، وحركة جسمها المتثني، وقوامها الغض النحيل، الرقيق، ساحرة بديعة الجمال. ففرَّقت بيننا الدنيا، الدنيا وحدها، كما يحدث.

العمدة: لا بد لي من بعض تفصيلات عن السيدة تساخاناسيان أستعين بها في خطبتي الصغيرة التي سألقيها عند الغداء في فندق «الرسول الذهبي».

(يُخرج مذكرة صغيرة من جيبه.)

المعلم: لقد فتَّشت السجلات المدرسية تفتيشًا دقيقًا، فوجدت أنَّ درجات كلارا فيشر — للأسف الشديد — درجات بالغة الرداءة، حتى في السلوك، إلا في علم النبات والحيوان؛ فدرجاتها متوسطة.

القس (مُثْبِتًا ذلك في مُذكِّرته)**:** حسنًا. درجات متوسطة في علم النبات والحيوان. هذا حسن.

إل: هنا يُمكنني أن أقدِّم العون للعمدة. كانت كلارا تُحب العدل بكل ما في ذلك من معنى. حدث ذات مرة أن اقتاد بعض الشرطة متشردًا، فانهالت على الشرطي قذفًا بالحجارة.

العمدة: حب العدل. لا بأس، نقطة لها دائمًا تأثيرها. ولكن يحسن أن نغفل ما فعلت بالشرطي.

إل: كذلك كانت مُحسنة، كانت توزِّع ما تملك، وحدث ذات مرة أن سرقت بعض البطاطس من أجل أرملة فقيرة.

العمدة: ميل إلى البر والإحسان. هذه النقطة، يا سادة، نقطة لا بد أن أُورِدها دون أي تحفُّظ؛ إنَّها أهم نقطة. هل يذْكر أحدكم مبنًى أقامَه أبوها؟ لا بأس بالإشارة إلى هذا في الخطبة.

جميعًا: لا أحد.

(العمدة يطوي مذكرته.)

العمدة: وهكذا أصبحت مستعدًّا بالنسبة للجزء المنوط بي، أمَّا الباقي فعلى إل.

الثاني: أعرف ما تريدون، على السيدة تساخاناسيان أن تُقدِّم ملايينها.

العمدة: ملايينها، هذا بالضبط هو التعبير الصحيح.

المعلم: لا تكفينا مجرد دار للحضانة.

العمدة: يا عزيزي إل، إنَّك منذ زمن طويل أحب الشخصيات في جوللين. وأنا سوف أعتزل منصب العمدة في الربيع القادم، وقد جسَست نبض المعارضة. واتفقنا على أن نرشحك لتولي منصب العمدية بعدي.

إل: ولكن يا سيادة العمدة.

المعلم: وأنا أؤكد صحة هذا الكلام.

إل: سادتي، لنرجع الآن إلى الموضوع. سأتحدَّث مع كلارا أول ما أتحدَّث عن الحالة البائسة التي صرنا إليها.

القس (ولكن في حذر)**:** في لطف.

إل: لا بد أن تتصرف بحذق، أن تتصرف تصرفًا سليمًا من الناحية السيكولوجية. إنَّ مجرد فشل الاستقبال في المحطة يُمكن أن يُفسد كل شيء. وليس في وسع فرقة موسيقى البلدة، وفرقة الكورال المختلطة، أن تصلح الأمر.

العمدة: إل على حق في ذلك. هذه — على أي حال — لحظة هامة. السيدة تساخاناسيان تطأ أرض الوطن، تتعرَّف على الدار، يتملكها التأثر، دموع في المآقي، ترى ما كانت تألفه في الماضي. وطبعًا لن أكون عندئذٍ في هذا القميص الرَّث، بل سألبس البدلة الرسمية السوداء والقبعة الغالية، وستقف إلى جانبي عقيلتي[٩] وأمامي حفيدتاي في ملابس بيضاء، تحملان الورود. ربَّاه، لو سار كل شيء في نظامه ووقته.

(رنين جرس.)

الأول: «رولاند الصاخب.»

---

[٩] لا يصح من باب اللياقة أن يقول المتكلم عن امرأته عقيلتي Meine Gattin. واستعمال العمدة لهذه الكلمة في غير محلها يُعطينا فكرة عن ثقافته وعن حالته النفسية في تلك اللحظة. (المترجم)

الثاني: فينيسيا–ستوكهولم، الساعة الحادية عشرة والدقيقة السابعة والعشرون.

القس: الساعة الحادية عشرة والدقيقة السابعة والعشرون. بقي أمامنا ساعتان لنلبس فيهما أفخر حُللنا.

العمدة: اللافتة «مرحبًا بكلير تساخاناسيان» يرفعها إلى أعلى «كون» و«هاوزر» (يُشير إلى الرابع)، أمَّا الآخرون فالأفضل أن يُلوِّحوا بالقبعات، ولكن أرجوكم لا تتصايحوا كما فعلتم في العام الماضي عند قدوم اللجنة الحكومية؛ فإنَّ ذلك لم يؤثر عليها البتة؛ ولذلك لم نحصل منها حتى الآن على أيَّة معونة. ليس هذا مقام الإفراط في إظهار السرور، لِيَكُن سروركم قلبيًّا أقرب شيء إلى التنهد، وتعاطفًا مع بنت البلدة التي تلتقي بموطنها بعد طول فراق. لا تكونوا متكلفين، أظهِروا الود الحميم. ولا بد أن يسير النظام سيره الموفق، وأن يدوي ناقوس المطافي بعد فرقة الكورال المختلطة. ويجب أن تراعوا قبل كل شيء …

(ضجيج القطار المقترب يطغى على كلامه فلا يُسمع ولا يُفهم. صوت ربط فرامل القطار. دهشة واضطراب يعلوان الوجوه كلها. الخمسة الجالسون على المقعد يَهبُّون واقفِين.)

المصور: القطار السريع.

الأول: سيقف!

الثاني: في جوللين!

الثالث: في أفقر.

الرابع: أقذر.

الأول: وأبأس عش على خط فينيسيا–ستوكهولم.

ناظر المحطة: لقد توقَّفت القوانين الطبيعية عن العمل. «رولاند الصاخب» سوف يظهر في منحنى «لويتناو» ثم ينطلق، فيتوارى كنقطة سوداء في منخفض «بوكينريد».[١٠]

(من اليمين تأتي كلير تساخاناسيان، سنها اثنان وستون عامًا، حمراء الشعر، عقد من اللؤلؤ في عنقها، أساور ذهبية هائلة في ذراعها، ثائرة النفس، صعبة المراس، ولكنَّها بسبب هذه الخصال سيدة من سيدات المجتمع العالمي، لها

[١٠] يُعبِّر عن دهشته للتطور المفاجئ المتمثل في توقُّف القطار العظيم في القرية الخربة. (المترجم)

طلاوة غريبة، رغم غلظتها المضحكة. خلفها حاشيتها، مدير أعمالها بوبي، في نحو الثمانين، يلبس نظارة سوداء، زوجها رقم ٧ رجل طويل معتدل القامة، له شارب أسود، ومعه أجهزة كاملة لصيد السمك، رئيس القطار «الصاخب» يرافق الجماعة، قبعة حمراء، حقيبة حمراء.)

كلير تساخاناسيان: أهذه هي جوللين؟

ريس القطار: لقد شددتِ فرامل الطوارئ يا سيدتي.

كلير تساخاناسيان: أنا أشد دائمًا فرامل الطوارئ.

ريس القطار: وأنا أحتج بشدة. في هذه البقعة من الدنيا لا تُشد فرامل الطوارئ حتى ولو كانت هناك طوارئ. إنَّ دقة جدول مواعيد قيام ووصول القطارات مبدأ أسمى. هل لي أن ألتمس منك تفسيرًا؟

كلير تساخاناسيان: ألسنا في جوللين يا موبي؟ ها أنا ذا أتعرَّف على العش الحزين. هناك في هذه الناحية غابة كونراد سفايل بنهرها الصغير حيث تستطيع أن تصطاد سمك الأطروط، وسمك البيق، وهنا على اليمين سقف شونة بيتر.

إل (كمن يستيقظ من نوم)**:** كلارا.

المعلم: تساخاناسيان.

جميعًا: تساخاناسيان.

المعلم: وجوقة الكورال المختلطة لم تستعد ومثلها فرقة الشباب.

العمدة: واللاعبون والمطافئ.

القس: يا ساتر!

العمدة: ولم ألبس بدلتي، رَبَّاه، ولا قبعتي العالية، ولم تتقدَّم لها حفيدتاي.

الأول: كليري فيشر! كليري فيشر!

(يهُب واقفًا ويعدو إلى البلدة.)

العمدة (يصيح فيه)**:** لا تنسَ عقيلتي.

ريس القطار: أنا في انتظار تفسير منك، تفسير رسمي باسم هيئة السكك الحديدية.

كلير تساخاناسيان: أنت غبي. أريد أن أزور البلدة. هل المفروض يا ترى أن أقفز من قطارك السريع؟

ريس القطار: أوقفتِ «رولاند الصاخب» لا لشيء إلا لأنَّك تريدين زيارة جوللين.

(يُحاول جاهدًا أن يتمالك نفسه.)

كلير تساخاناسيان: طبعًا.

ريس القطار: سيدتي، عندما تريدين التوقف لزيارة جوللين فإنَّ قطار ركاب الساعة الثانية عشرة والدقيقة الأربعين الذي يقوم من كالبرشتات تحت أمرك. شأنك في ذلك شأن كل الناس. وهو يصل جوللين الساعة الواحدة والدقيقة الثالثة عشرة.

كلير تساخاناسيان: قطار الركاب الذي يقف في «لوكن» و«برونهوبل» و«بايزنباخ» و«لويتناو»؟ أتطلب مني يا ترى أن ألف وأدور طوال نصف ساعة في هذه المنطقة؟

ريس القطار: يا سيدتي، ستدفعين ثمن ذلك غاليًا.

كلير تساخاناسيان: أعطه ألفًا يا بوبي.

الكل (يُتمْتِمون)**:** ألفًا.

(مدير أعمالها يعطيه ألفًا.)

ريس القطار (مذهولًا)**:** سيدتي.

كلير تساخاناسيان: وثلاثة آلاف أخرى لجمعية رعاية أرامل موظفي السكك الحديدية.

الكل (يُتَمْتِمون)**:** ثلاثة آلاف.

(ريس القطار يتلقَّى من مدير الأعمال ثلاثة آلاف.)

ريس القطار: ليس هناك جمعية كهذه، يا سيدتي.

كلير تساخاناسيان: إذن فأسسوا واحدة.

(مدير البلدية يهمس في إذن ريس القطار بشيء.)

ريس القطار (مذهولًا)**:** السيدة الكريمة هي السيدة كلير تساخاناسيان؟ آه، متأسف. هذا وضع آخر. لو كان لدينا أقل فكرة عن ذلك لتوقفنا طائعين في جوللين، إليك مالك ثانية يا سيدتي الكريمة! أربعة آلاف، رباه!

الكل (يُتَمْتِمون)**:** أربعة آلاف!

كلير تساخاناسيان: احتفظ بهذا المبلغ البسيط.

الكل (يُتَمْتِمون)**:** احتفظ.

ريس القطار: هل تود سيدتي الكريمة أن ينتظر «رولاند الصاخب» إلى أن تفرغ من زيارة جوللين؟ لا شك أنَّ هيئة السكك الحديدية ستوافق على ذلك مسرورة. يُقال إنَّ باب كنيسة هذه البلدة بديع، قوطي الطراز[11] عليه لوحة تصوِّر يوم القيامة.

كلير تساخاناسيان: اذهب بقطارك هذا من هنا بأسرع ما تستطيع.

الزوج ٧: ولكن الصحافة يا ماوزي[12] لم تنزل بَعْد. المراسلون يأكلون في عربة الأكل في مقدمة القطار ولا شيء يخطر ببالهم.

كلير تساخاناسيان: دعهم يكملون غداءهم يا موبي. أنا لا أحتاج إلى صحافة في بداية زيارتي لجوللين. إنَّها سوف تأتي حتمًا إلينا بعد ذلك.

(في هذه الأثناء كان الثاني قد أحضر للعمدة رداءه. العمدة يتقدَّم رسميًّا إلى كلير تساخاناسيان. المصور والرابع على المقعد يرفعان اللافتة «مرحبًا بكلير تساخاناسيان ...» إلى أعلى، ولمَّا ينتهي المصور من إعدادها.)

ناظر المحطة (يرفع المؤشر)**:** قيام.

ريس القطار: لو تتكرَّم السيدة الكريمة بألَّا تقدم شكوى إلى هيئة السكك الحديدية. إنَّ ما حدث كان سوء تفاهم لا أكثر.

(يبدأ القطار في التحرك. ريس القطار يقفز إليه.)

العمدة: سيدتي المبجلة الكريمة، يشرفني بوصفي عمدة جوللين أن أوجِّه إليكِ يا سيدتي الكريمة المبجلة، وأنت بنت بلدنا ...

(ضجيج القطار المنطلق يجعل خطبة العمدة، التي يستمر في إلقائها دون تردد أو توقُّف، غير مفهومة.)

---

[11] طراز فني، خاصة في العمارة، يُنسب خطأً إلى أمة القوط رغم أنَّه نشأ في فرنسا، وانتشر في أوروبا في الفترة بين القرن الثاني عشر والسادس عشر. ويتميَّز بعقد على شكل قوس مكسور، وقبة ذات عروق قوسية متجمعة في المركز إلى الداخل. (المترجم)

[12] حرفيًّا = فأر صغير، فُؤير، وهو من أسماء المداعبة بالألمانية. وكثيرًا ما تستعمل اللغة الألمانية اسم التصغير من أسماء الحيوانات والطيور للمداعبة؛ مثلًا قرد، خروف، قطة، حمام ... إلخ. (المترجم)

كلير تساخاناسيان: أشكرك يا سيادة العمدة على هذه الخطبة الجميلة.

(تتجه إلى إل الذي يتقدَّم إليها قليلًا وقد تملَّكه شيء من الارتباك.)

إل: كلارا!
كلير تساخاناسيان: ألفريد!
إل: جميل منكِ أن تأتي إلينا.
كلير تساخاناسيان: لقد كنتُ دائمًا أنوي ذلك. طول عمري، منذ برحت جوللين.
إل (في حيرة)**:** هذا جميل منكِ.
كلير تساخاناسيان: وأنتَ أيضًا، هل فكَّرت فيَّ؟
إل: طبعًا، دائمًا. أنتِ تعرفين ذلك يا كلارا.
كلير تساخاناسيان: لقد كانت رائعة، تلك الأيام كلها حين كنَّا معًا.
إل (فخورًا)**:** بالتأكيد. (إلى المعلم): أرأيت يا سيادة المعلم، أنَّها في جيبي.
كلير تساخاناسيان: نادِني كما كنت تناديني دائمًا.
إل: قُطيطتي البرية.[١٣]
كلير تساخاناسيان (تموء كقطة عجوز)**:** وماذا أيضًا؟
إل: ساحرتي الصغيرة.
كلير تساخاناسيان: وكنتُ أُسمِّيكَ نمري الأسود.
إل: وما زلت كذلك.
كلير تساخاناسيان: كلام فارغ. لقد امتلأ جسمُك، وشاب شَعْرك، وأصبحتَ من المدمِنِين.
إل: أمَّا أنتِ فقد بقيتِ كما كنتِ، ساحرتي الصغيرة.
كلير تساخاناسيان: آه، قل غير هذا الكلام. لقد هرمت وسمنت أنا أيضًا، بل وفقدت ساقي اليسرى. حادثة سيارة. ومن يومها وأنا لا أُسافر إلا بالقطارات السريعة. لكن الساق الصناعية ممتازة، ألا ترى ذلك؟ (ترفع جونلتها إلى أعلى وتكشف عن ساقها اليسرى): إنَّها تتحرَّك بسهولة.

---

[١٣] سبقت الإشارة إلى استعمال أسماء بعض الحيوانات والطيور في صيغة التصغير للمُداعبة، و«ساحرتي الصغيرة» من هذا القبيل. (المترجم)

إل: لم ألاحظ ذلك، يا قُطيطتي البرية.

كلير تساخاناسيان: أتسمح، يا ألفريد، أن أُقدِّم لك قريني السابع؟[١٤] يملك مزارع تبغ. ونحن سعداء في حياتنا الزوجية.

إل: تفضلي بكل سرور.

كلير تساخاناسيان: تعال، يا موبي، انْحنِ. اسمه أصلًا بيدرو ولكن اسم موبي أحسن، ويتناسب أكثر مع بوبي. اسم الخادم الخصوصي. والخادم الخصوصي يظل عند الإنسان طول العمر؛ لذلك ينبغي أن تكون أسماء الأزواج متناسبة مع اسمه.

(الزوج رقم ٧ ينحني.)

كلير تساخاناسيان: ألا ترى أنَّه جميل بشاربه الأسود؟ فكِّر يا موبي.

(الزوج ٧ يفكِّر.)

كلير تساخاناسيان: أعمق من ذلك.

الزوج ٧: يفكِّر أعمق من ذلك.

كلير تساخاناسيان: أكثر عمقًا.

الزوج ٧: لا طاقة لي على أن أفكر أعمق من هذا، يا ماوزي، فعلًا لا أستطيع.

كلير تساخاناسيان: بل تستطيع. جرب.

(الزوج ٧ يفكر أعمق. رنين جرس.)

كلير تساخاناسيان: ألا ترى، لقد أَمْكنك ذلك ألَّا ترى أنت أيضًا يا ألفريد أنَّ شكله في هذه الحال يُصبح شيطانًا، كأنَّه برازيلي، لكن هذا خطأ؛ إنَّه إغريقي أرثوذكسي، كان أبوه روسيًّا، وقد عقد قراننا كاهن أرثوذكسي. طريف جدًّا، الآن أريد أن أطوف بجوللين.

(تتأمَّل المبنى الصغير على اليسار خلال نظارة مرصعة بالجواهر الكريمة.)

---

[١٤] سبق التنويه إلى أنَّ اللياقة تفرض على المتكلِّم ألَّا يقول Gatte, Gattin = قرين، عقيلة ... وهنا تستعمل كلير تساخاناسيان لفظة «قريني» مما يدل على سوء مراعاتها للياقة. (المترجم)

كلير تساخاناسيان: هذه المراحيض العمومية أقامها أبي يا موبي. بناء متين، دقيق. وكنت وأنا طفلة أجلس ساعات طوالًا على سطحها، وأبعث ببصاقي إلى أسفلها. لكن كنت أبعث به إلى الرجال فقط.

(في المؤخرة تجمَّعت فرقة الكورال المختلطة وفرقة الشباب. المعلم يتقدَّم لابسًا قبعة عالية.)

المعلم: سيدتي الجليلة، بوصفي عميدًا لمدرسة جوللين الثانوية، وبوصفي عاشقًا للسيدة الكريمة «موسيقى»[١٥] لي أن أتشرَّف بتقديم أغنية شعبية بسيطة من تأدية فرقة الكورال المختلطة وفرقة الشباب.

كلير تساخاناسيان: أطلق أغنيتك الشعبية البسيطة يا معلم.

(المعلم يتناول شوكة رنانة ويُعطي النغمة القيادية فتبدأ فرقة الكورال المختلطة وفرقة الشباب في الغناء الاحتفالي، إلا أنَّ قطارًا آخر يأتي من اليسار. ناظر المحطة يؤدي التحية. الفرقة تُضطر إلى مُصارَعة ضجيج القطار، المعلم يتملَّكه الحنق واليأس، وأخيرًا يبتعد القطار.)

العمدة: ناقوس المطافئ، ألم يكن من المقرر استخدام ناقوس المطافئ؟

كلير تساخاناسيان: أحسنتم الغناء يا أهل جوللين. خاصة الجهير[١٦] الأشقر الذي يقف هناك إلى أقصى اليسار ذا الحنجرة البارزة، كان منقطع النظير.

(من خلال فرقة الكورال المختلطة يتقدَّم شرطي مزاحمًا فيقف أمام كلير تساخاناسيان في وضع الانتباه.)

---

[١٥] ربة من ربات الفنون عند الإغريق. وكان الإغريق يعتقدون أنَّ لجوبتر ومنيموزينة تسع بنات؛ هنَّ ربات الفنون الحرة، «كليو ربة التاريخ»، و«أويتربة ربة الموسيقى»، و«تالية ربة الكوميديا»، و«ميلبومينة ربة التراجيديا»، و«تربسيخورة ربة الرقص»، و«إراتو ربة الإيليجية»، و«بوليمنية ربة الشعر الغنائي»، و«أورانية ربة الفلك»، و«كاليوبة ربة الخطابة والشعر البطولي». وكانوا يعتقدون أنَّهنَّ يعِشْن مع أبوللو في البرناس والبنده والهيليكون والثلاث جبال في بلاد الإغريق. (المترجم)

[١٦] تُقسَّم أصوات الرجال إلى أنواع ثلاثة؛ أعلاها التينور = الصادح، وأوسطها الباريتون = الغريد، وأوطاها الباس = الجهير. (المترجم)

الشرطي: الشرطي هانكه، يا سيدتي الجليلة، تحت أمرك.
كلير تساخاناسيان: شكرًا. لا أريد القبض على أحد. ولكن ربما تحتاج إليك جوللين. هل تغمض عينك أحيانًا؟[١٧]
الشرطي: أفعل ذلك أحيانًا، وإلَّا فكيف أُسيِّر الأمور في جوللين.
كلير تساخاناسيان: الأفضل أن تُغمض عينيك كلتيهما.

(يقف الشرطي مرتبكًا بعض الشيء.)

إل: كلارا كما عهدتها، ساحرتي الصغيرة لم تتغيَّر.

(يربت على فخذيه مسرورًا. العمدة يلبس قبعة المعلم العالية بسرعة ويُقدِّم حفيدتيه. توأمتان ذواتا ضفائر شقراء.)

العمدة: حفيدتاي، يا سيدتي الجليلة، هرمينه وأدولفينه. لم تبقَ إلا عقيلتي.

(يمسح عرقه. البنتان تنحنيان للتحية ثم تُقدِّمان إلى كلير تساخاناسيان وردًا حمراء.)

كلير تساخاناسيان: أهنئك على الطفلتين يا عمدة. خذ.

(تدس الورد بين ذراعي ناظر المحطة. العمدة يُعطي القبعة العالية سرًّا إلى القس فيلبسها.)

العمدة: قَسُّنا، يا سيدتي الجليلة.

(القس يشد القبعة، ينحني.)

كلير تساخاناسيان: آه الكاهن. أمن عادتك مواساة المحتضرين؟
القس: أجتهد في ذلك.
كلير تساخاناسيان: ومواساة أولئك الذين حُكِم عليهم بالإعدام أيضًا؟
القس: عقوبة الإعدام ملغاة في بلدنا، يا سيدتي الجليلة.

---

[١٧] يتهاون. (المترجم)

كلير تساخاناسيان: ربما تُعاد ثانية.

(القس يُعيد القبعة العالية في شيء من الدهشة إلى العمدة فيلبسها.)

إل (ضاحكًا)**:** أيتها القُطيطة البرية. يا لنِكاتك الصارخة!
كلير تساخاناسيان: الآن أريد أن أذهب إلى البلدة.

(العمدة يمد ذراعه إليها.)

كلير تساخاناسيان: ماذا خطر ببالك يا عمدة؟ أنا لا أستطيع السير أميالًا بساقي الصناعية.
العمدة: حالًا، حالًا. الطبيب عنده سيارة، مرسيدس من عام١٩٣٢م.
الشرطي (مؤدِّيًا التحية)**:** أمرك يا سيادة العمدة. سأحضرها إلى هنا بأمر رسمي.
كلير تساخاناسيان: لا ضرورة لذلك. أنا لا أتنقَّل منذ حادثتي إلا في هوادج. يا روبي ويا توبي، إليَّ بالهودج.

(من اليسار إلى اليمين يُقبِل رجلان مسخان يمضغان اللادن ويحملان هودجًا. أحدهما يحمل قيثارة على ظهره.)

كلير تساخاناسيان: مجرمان من مانهاتن، حُكم عليهما في سنج سنج[١٨] بالإعدام على الكرسي الكهربائي. وأُفرج عنهما بناءً على التماسي لكي يحملا لي الهودج. وقد كلَّفني هذا الالتماس مليون دولار لكل واحد منهما. والهودج من متحف اللوفر، وهو هدية من رئيس جمهورية فرنسا. رجل ظريف، شكله يُطابق تمامًا صورته في الجرائد. احملاني إلى البلدة يا روبي ويا توبي.
الاثنان: يس، مام.[١٩]
كلير تساخاناسيان: لنذهب أولًا إلى شونة بيتر، ثم إلى غابة كونراد سفايل. أريد أن أزور مع ألفريد مغاني حبنا القديمة. في هذه الأثناء انقلوا المتاع والنعش إلى فندق «الرسول الذهبي».

---

[١٨] سجن نيويورك. (المترجم)

[١٩] نعم، سيدتي Yes Mam. بالأمريكية الدارجة. (المترجم)

العمدة (مذهولًا)**:** النعش؟

كلير تساخاناسيان: لقد أحضرت نعشًا معي. ربما احتجت إليه. هيَّا يا روبي وأنت يا توبي.

(الرجلان الهائلان القبيحان ماضِغَا اللادن يحملان كلير تساخاناسيان إلى المدينة. العمدة يُعطي إشارة فيصيح الجميع بصوت عالٍ مرددين نداءات الترحيب التي ما تلبث أن تنخفض وتنخفض، ويبدو عليهم الدهشة عندما يرون خادمين قادمين يحملان نعشًا أسود ثمينًا ويسيران به إلى جوللين. وفي هذه اللحظة يدق ناقوس الحريق، الذي لم يُرهن بعد.)

العمدة: أخيرًا ناقوس المطافئ.

(الشعب يسير وراء النعش، ثم تأتي وصيفات كلير تساخاناسيان بعد ذلك ومعهن متاع وحقائب لا حصر لها، فيحملها أهل جوللين. الشرطي يُنظِّم حركة المرور ويهم بمتابعة الركب، فيأتي رجلان هَرِمان قصيران بدينان في ملابس أنيقة يُمسك الواحد بيد الآخر ويقولان بصوت منخفض.)

الاثنان: نحن في جوللين. نحن نشم ذلك. نحن نشم ذلك من الهواء، هواء جوللين.

الشرطي: ومن أنتما؟

الاثنان: إنَّنا نتبع السيدة العجوز، وهي تُسمينا كوبي ولوبي.

الشرطي: السيدة تساخاناسيان تُقيم في فندق «الرسول الذهبي».

الاثنان (مسروران)**:** نحن أعميان، نحن أعميان.

الشرطي: أعميان؟ إذن فلأصحبكما إلى هناك.

الاثنان: شكرًا، يا سيادة الشرطي، شكرًا جميلًا.

الشرطي (مندهشًا)**:** ولكن كيف عرفتما وأنتما أعميان أنَّني شرطي؟

الاثنان: من طريقة كلامك، من طريقة كلامك؛ فكل رجال الشرطة يتكلَّمون بطريقة واحدة.

الشرطي (متشكِّكًا)**:** يبدو أنَّ لكما خبرة شخصية بالشرطة، أيها الرجلان القصيران البدينان.

الاثنان: الرجلان! إنَّه يعتبرنا من الرجال.

الشرطي: وماذا تكونان غير ذلك، بحق الشيطان؟

الاثنان: ستعرف ذلك، ستعرف ذلك.

الشرطي (مندهشًا)**:** إنَّكما، على الأقل، دائمًا البشاشة.

الاثنان: نتناول كوستليته وبيكون. كل يوم، كل يوم.

الشرطي: لو حصلت أنا على مثل ذلك لرقصت فرحًا. تعاليا مدا إليَّ أيديكما. إنَّ هذين الأجنبيين في حالة مرح غريبة.

(يذهب بهما إلى المدينة.)

الاثنان: إلى بوبي وموبي، إلى روبي وتوبي.

(تغيير المنظر دون إسدال الستار. تُرفع واجهة المحطة والمبنى الصغير إلى أعلى داخل فندق «الرسول الذهبي»، بل ويُمكن أيضًا أن تُدلَّى لافتة برمز الفندق من أعلى، صورة مذهبة لرسول مجيد، كعلامة رمزية، تَبقى معلَّقة وسط المكان. زخرف أتى عليه الزمن، كل شيء مستهلك مُغَبَّر، مكسر، متعفن، كريه الرائحة، والمصيص مفتت، مواكب لا حصر لها من حملة الحقائب، يدخلون أولًا بقفص ثم بالمتاع، ويحملون كل ذلك إلى أعلى. العمدة والمعلم يجلسان إلى اليمين في المقدمة أمام مائدة ويحتسيان الاشنابس.[٢٠]

العمدة: حقائب ثم حقائب، تلال من الحقائب، وقبل ذلك جاءوا بقفص به نَمِر حُمِل إلى أعلى، حيوان أسود متوحِّش.

المعلم: وأمَّا النعش فقد أمرت بوضعه في حجرة خاصة. عجيب.

العمدة: شهيرات السيدات في العالم لهنَّ هواياتهن.

المعلم: يبدو أنَّها تُزمِع البقاء هنا مدة طويلة.

العمدة: هذا خير. إنَّ إل متمكِّن منها. ناداها: قُطيطتي البرية، وساحرتي الصغيرة. سوف يغترف منها الملايين. في صحتها، يا معلم! في صحة إنقاذ كلير تساخاناسيان لمؤسسة بوكمان.

المعلم: ومصانع فاجنر.

[٢٠] مشروب روحي، خمر. (المترجم)

العمدة: وساحة الكوخ المشمس. فإنَّها إن نهضت، نهض كل شيء، البلدية والمدرسة الثانوية، وعمَّ الرخاء.

(يقرعان كأسيهما.)

المعلم: أقوم بتصحيح تمارين تلاميذ جوللين في اللغتين اللاتينية والإغريقية منذ أكثر من عقدين من السنين فلم أعرف معنى الرجفة، يا سيادة العمدة، إلا منذ ساعة. كان نزول السيدة العجوز من القطار بملابسها السوداء شيئًا مرعبًا. بدت لي كأنَّها بارسة،[٢١] كأنَّها إلهة القدر الإغريقية. كان الأحرى أن تُسمى كلوتو لا كلير، فإنَّ هيئتها تبعث على الاعتقاد بأنَّ في مقدورها أن تغزل خيوط حياة البشر.

(الشرطي يأتي، يُعلِّق خوذته على مشجب.)

العمدة: اجلس معنا، يا شرطي.

(الشرطي يجلس معهما.)

الشرطي: ليس العمل في هذا العش مما يمتع. لكن الخرائب بدأت تزدهر. كنت لتوي مع صاحبة المليارات والبدَّال إل في شونة بيتر. منظر مؤثر. كان الاثنان خاشعين كأنَّهما في كنيسة. فتحرَّجت من ملازمتها، وابتعدت عنهما حين رأيتهما يتجهان إلى غابة كونراد سفايل. موكب بمعنى الكلمة؛ الهودج في المقدمة، وإلى جانبه إل، ومن خلفه مدير الأعمال، وزوجها السابع يحمل الشص.

المعلم: استهلاك الرجال. لاييس[٢٢] أخرى.

---

[٢١] كان الرومان يعتقدون في ربات ثلاث يُسيِّرن حياة الناس؛ هنَّ البارسات، الواحدة بارسة Parca، وأصل الكلمة غير معروف على وجه اليقين، ربما من فعل Parcere = يدع؛ أي اللاتي لا يدعن أحدًا، أو من فعل Parere = يلد؛ أي اللاتي يُسيطرن على الإنسان من المولد. وقد كان للإغريق ثلاث ربات للقدر موارة؛ مورات على هيئة غزالات يغزلن حياة الناس، كلوتو تُمسك كرة الخيط وتتحكَّم في المولد، ولاخيسيس تُمسك المغزل، وأتروبوس تقطع الخيط. (المترجم)

[٢٢] Lais اسم يُطلق على طبقة من غانيات كورينث في القرن الخامس قبل المسيح، كنَّ يُسمَّين أيضًا بالخليلات وهنَّ نوع من العاهرات كان ذا ثقافة وأثر على الحياة الفكرية. ولا شك أنَّ المقصود هنا دلالة اللفظة على الفاجرات. (المترجم)

الشرطي: وثمة رجلان قصيران بدينان. لا يعلم أمرهما أحد.

المعلم: شيء مرعب. كأنَّما نزلا من ملكوت الموت[٢٣]

العمدة: أنا مندهش، ما الذي يبحثان عنه في غابة كونراد سفايل.

الشرطي: يبحثان عمَّا بحثا عنه في شونة بيتر يا عمدة. إنَّهما يرجعان إلى الأماكن التي التهبت فيها عاطفتهما، إن صحَّ هذا التعبير.

المعلم: لهبًا متأججًا. على المرء أن يعود بذاكرته إلى شيكسبير. روميو وچولييت. سادتي: لقد اهتزَّ كلُّ كياني، لأول مرة أحسُّ في جوللين بالعظمة القديمة.

العمدة: قبل كل شيء لنشرب الآن نخب حبيبنا الطيب إل الذي يبذل كل جهد ممكن في سبيل تحسين حالنا. سادتي، في صحة أحب مواطن في البلدة، في صحة خلَفي.

(صورة رسول الفندق ترتفع إلى أعلى. من اليسار يأتي المواطنون الأربعة ومعهم المقعد الخشبي البسيط، الذي لا مسند له، يضعونه إلى اليسار. الأول يصعد على المقعد وقد علَّق حول رقبته قلبًا من الورق المقوى عليه الحرفان «أ» و«ك»، والآخرون يلتفُّون حوله في نصف دائرة، ناشرين أغصانًا ترمز إلى أشجار.)

الأول: نحن أشجار التنوب، أشجار الصنوبر، أشجار الزان.

الثاني: نحن أشجار شربين خضراء قاتمة.

الثالث: طحالب وأشنة[٢٤] ولبلاب.

الرابع: أعشاب وجحور ثعالب.

الأول: تحركات سحب، زقزقات طير.

الثاني: أشجار برية ألمانية قحة.

الثالث: فطر ذبابي، غزلان خائفة.

---

[٢٣] Orkus باللاتيني Orcus ملكوت الموت أو العالم السفلي عند الرومان، الذين أخذوا الأسطورة عن الإغريق. وقد زعم الإغريق أنَّ ملكوت الموت يوجد في أقصى الغرب، وأنَّ نهرين يروِيانه؛ هما «ستيكس» و«آخيرون»، وأنَّ ثمة كلب جهنمي يقوم على حراسته يُدعى سيربيروس، وأنَّ ملكوت الموت ينقسم إلى منطقتين: «اليزيوم» دار المنعمين، و«تارتاروس» دار عقاب الملعونين. (المترجم)

[٢٤] Flechten.

الرابع: همسات أغصان، أحلام قديمة.

(من المؤخرة يأتي العملاقان القبيحان ماضغا اللادن يحملان هودج كلير تساخاناسيان، إلى جانبها إل. في الخلف الزوج رقم ٧، وفي أقصى المؤخرة مدير الأعمال يسحب الأعميين من يديهما.)

كلير تساخاناسيان: غابة كونراد سفايل، يا روبي ويا توبي، توقفا.

الأعميان: توقَّفا يا روبي ويا توبي، توقفا يا بوبي ويا موبي.

(كلير تساخاناسيان تنزل من الهودج، وتتفرَّج على الغابة.)

كلير تساخاناسيان: القلب وعليه اسمك واسمي يا ألفريد. بهتت كتابتهما وابتعدا الواحد عن الآخر. والشجرة كبرت، امتلأ جذعها وامتلأت فروعها كما امتلأ جسمانا نحن أنفسنا.

(كلير تساخاناسيان تذهب إلى الأشجار الأخرى.)

كلير تساخاناسيان: مجموعة من الأشجار الألمانية. لم أَجُل منذ وقت طويل في غابة صباي، ولم أطأ بقدمي الورق المتساقط بين أشجار اللبلاب البنفسجي. يا ماضغي اللادن تنزَّها الآن بهودجكما برهة خلف الخمائل، فلست أحب أن أرى وجهيكما على الدوام. أمَّا أنت، يا موبي، فتمشَّ إلى اليمين، نحو النهر الصغير، نحو أسماكك.

(يخرج العملاقان القبيحان بالهودج من اليسار. الزوج ٧ يتَّجه إلى اليمين. كلير تساخاناسيان تجلس على المقعد.)

كلير تساخاناسيان: انظر، غزال.

(الثالث يقفز.)

إل: هذا وقت تحريم صيد الحيوان للمحافظة على صغاره الوليدة.

(يجلس معها.)

كلير تساخاناسيان: على هذا المقعد تبادلنا القُبَل. قبل أكثر من خمس وأربعين سنة، كنَّا نختلي للحب تحت هذه الشجيرات، تحت شجرة الزان هذه، بين الفطر الذبابي والطحلب. كان عمري سبعة عشر عامًا، وكنت في نحو العشرين. ثم تزوَّجتَ ماتيلده بلومهارد صاحبة محل الخردوات وتزوَّجت أنا أيضًا تساخاناسيان الأرمني العجوز

ومليارته. كان قد وجدني في بيت دعارة بهامبورج. فجذبه شعري الأحمر، ذلك الجعل[٢٥] الذهبي العجوز.

إل: كلارا.

كلير تساخاناسيان: بوبي، واحد هنري كلاي.

الأعميان: واحد هنري كلاي، واحد هنري كلاي.

(مدير الأعمال يأتي من المؤخرة، يُقدِّم إليها سيجارًا، يشعله لها.)

كلير تساخاناسيان: أنا أحب السيجار. كان المفروض أصلًا أن أدخن السيجار الذي ينتجه زوجي، ولكني لا أثق فيه.

إل: لقد تزوَّجتُ ماتيلدة بلومهارد من أجلك.

كلير تساخاناسيان: كان عندها مال.

إل: لقد كنتِ شابة وجميلة. كان المستقبل ملك يمينكِ. وكنت أريد سعادتكِ. فكان عليَّ أن أتنازلَ عن سعادتي.

كلير تساخاناسيان: وها نحن الآن في المستقبل.

إل: لو بقيت هنا مثلي، لحلَّ بكِ الخراب الذي حلَّ بي.

كلير تساخاناسيان: هل حلَّ بك الخراب؟

إل: بقَّال مفلس في بلدة مفلسة.

كلير تساخاناسيان: وأنا الآن عندي مال.

إل: إنَّني أعيش في جحيم، منذ ذهبتِ عني.

كلير تساخاناسيان: أمَّا أنا فقد أصبحت الجحيم.

إل: إنَّني وعائلتي نلقى العنت، وعائلتي لا تكف يومًا عن لومي على فقري.

كلير تساخاناسيان: ألم تجعلك ماتيلدة الحبيبة سعيدًا؟

إل: المهم أن تكوني أنتِ سعيدة؟

كلير تساخاناسيان: وأولادك؟

---

[٢٥] كلمة مداعبة. والمقصود هنا الحشرة المسماة Maikâfer = الجعل الأوروبي. ويتميَّز بلونه الأحمر المنقط نقطًا سوداء، ويُقال في ألمانيا: إنَّه يجلب الحظ. و«ذهبي» هنا إشارة إلى أمواله. (المترجم)

إل: ليس لديهم أي إحساس بالمثاليات.

كلير تساخاناسيان: سيكون لديهم ذلك.

(يصمت. يحملقان في غابة صباهما.)

إل: إنَّني أعيش عيشة مضحكة. لم أخرج من البلدة مرة واحدة خروجًا يستحق هذا الاسم. رحلة إلى برلين، ورحلة إلى تيسين،[٢٦] لا أكثر.

كلير تساخاناسيان: وما فائدة ذلك. أنا أعرف العالم.

إل: لأنَّكِ تستطيعين السفر في كل آنٍ.

كلير تساخاناسيان: لأنَّ العالم ملكي.

(هو يصمت وهي تدخن.)

إل: والآن سوف يتغير كل شيء.

كلير تساخاناسيان: بكل تأكيد.

إل: هل ستساعديننا؟

كلير تساخاناسيان: لن أترك مهد صباي كالمعلق.

إل: إنَّنا نحتاج إلى الملايين.

كلير تساخاناسيان: أمرها هين.

إل: قُطيطتي البرية!

(يربت على فخذها الأيسر متأثرًا، وما يلبث أن يبعد يده متألمًا.)

كلير تساخاناسيان: مؤلم. لقد ربت على مفصلة من مفاصل ساقي الصناعية.

(الأول يخرج من جيب بنطلونه غَليونًا قديمًا ومفتاح بيت صَدئ ويقرع الغليون بالمفتاح.)

[٢٦] تيسين منطقة سياحية على نهر بالاسم نفسه في جنوب سويسرا فيها إلى جانب جبال الألب التيسينية مروج خضراء وزراعة مزدهرة وفاكهة منوعة وكروم وأشجار منطقة البحر المتوسط. (المترجم)

كلير تساخاناسيان: الطائر النقَّار.[٢٧]

إل: تمامًا كالأيام الخالية عندما كنَّا في سن الشباب وكنَّا جسورين، أيام كنَّا نذهب إلى غابة كونراد سفايل، أيام حبنا. الشمس تعلو أشجار التنب، كأنَّها قرص وضَّاح، وهناك بعيدًا سحب سابحة، وزقزقة الوقواق في مكان ما على أغصان الشجيرات البرية.

الرابع: كوكوك. كوكوك.

(إل يتحسَّس الأول.)

إل: خشب بارد وريح بين الأغصان، خرير كخرير أمواج البحر المتحطمة، كما كنَّا في الأيام الخالية، كل شيء كما كان في الأيام الخالية الثلاثة يمثلون الشجر، يُصَفِّرون كالريح، يحركون الأذرع إلى أعلى وأسفل.

لو انتفى الزمن يا ساحرتي الصغيرة. لو لم تُفرِّق بيننا الأيام.

كلير تساخاناسيان: أتتمنى هذا؟

إل: هذا، لا شيء غير هذا. فما زلت أحبك.

(يُقبِّل يدها اليمنى.)

اليد البيضاء الباردة بعينها.

كلير تساخاناسيان: خطأ. عضو صناعي أيضًا. من سن الفيل.

(إل يترك يدها تهوي وقد تملَّكه الذعر.)

إل: كلارا. هل كل ما فيكِ من الأعضاء الصناعية؟

كلير تساخاناسيان: تقريبًا. بسبب حادثة سقوط طائرة في أفغانستان. خرجت زاحفة وحدي من وسط الحطام. حتى طاقم الطائرة لقي مصرعه، ليس في الإمكان قتلي.

(الأعميان. ليس في الإمكان قتلي، ليس في الإمكان قتلي.)

(موسيقى من آلات النفخ تدوي بطريقة احتفالية. صورة «رسول الفندق» تنزل ثانية. أهل جوللين يدخلون الموائد، مفارش الموائد مهلهلة إلى درجة مؤلمة.

---

[٢٧] طائر ملوَّن فيه الأخضر والبني والرمادي والأصفر، له منقار ثاقب قوي، يستخرج به الحشرات واليرقات من قشر جذوع الأشجار، ويحفر لنفسه بواسطتها تجاويف عميقة يعشش فيها. (المترجم)

أدوات الأكل، مأكولات، مائدة في الوسط، مائدة إلى اليسار، مائدة إلى اليمين متوازية مع الجمهور. القس يأتي من المؤخرة. نفر من أهل جوللين يندفعون إلى الداخل، أحدهم في زي الرياضيين. العمدة والمعلم والشرطي يعودون للظهور. أهل جوللين يصفقون إعجابًا. العمدة يأتي إلى المقعد الذي تجلس عليه كلير تساخاناسيان وإل، الأشجار تحوَّلت إلى مواطنين ينصرفون إلى الوراء.)

العمدة: عاصفة الترحيب هذه من أجلك، يا سيدتي الجليلة الكريمة.

كلير تساخاناسيان: بل من أجل فرقة موسيقى البلدة، يا عمدة، إنَّها تعزِف عزفًا ممتازًا، كذلك الهرم الذي كوَّنه الفريق الرياضي قبل ذلك كان بديعًا. إنَّني أحب الرجال الذين يلبسون قمصانًا وبنطلونات قصيرة. على هذا النحو يكون منظرهم طبيعيًّا.

العمدة: أتسمحين لي أن أرافقك إلى المائدة؟

(يقود كلير تساخاناسيان إلى المائدة الوسطى ويُقدِّم إليها زوجه.)

العمدة: عقيلتي.

(كلير تتفحَّص عقيلته من خلال المنظار.)

كلير تساخاناسيان: أنيتشن دوميرموت،[٢٨] أولى فصلنا.

(ثم يقدم امرأة ثانية تبدو عليها سيما المرارة والبؤس كامرأته.)

العمدة: السيدة إل.

كلير تساخاناسيان: ماتيلدشن بلومهارد. ما زلت أذكر كيف كنت تقفين وراء باب الدكان وتترقَّبين ألفريد. لقد أصبحتِ هزيلة شاحبة يا عزيزتي الطيبة.

(من اليمين يندفع الطبيب داخلًا، إنسان قصير في سن الخمسين، له شارب، شعره أسود متصلب، ندبات جروح في وجهه، ويلبس بدلة فراك قديمة.)

الطبيب: انطلقتُ في آخر لحظة بعربتي المرسيدس القديمة، حتى أصل هنا في الموعد.

[٢٨] النهاية «شن» في أواخر الكلمات تُفيد التصغير. وصيغة التصغير مستعملة هنا للمداعبة وعلامة على رفع الكلفة والمعرفة القديمة. أمَّا «دوميرموت» فاسم علم مبتدع معناه النفس الغبية. (المترجم)

العمدة: دكتور نوسلين،[٢٩] طبيبنا.

(كلير تساخاناسيان تتأمَّل، من خلال نظارتها، الطبيب وهو يُقبِّل يدها.)

كلير تساخاناسيان: طريف. هل تصدر شهادات الوفاة؟

الطبيب: شهادات وفاة؟

كلير تساخاناسيان: ألا يموت بعض الناس؟

الطبيب: طبعًا، يا سيدتي الكريمة. واجبي. بأمر من السلطات.

كلير تساخاناسيان: توقَّع حدوث سكتة قلبية في المستقبل.

إل: لذيذة، لذيذة فعلًا.

(كلير تترك الطبيب وتتأمَّل اللاعب الرياضي في قميصه.)

كلير تساخاناسيان: العب مرة أخرى.

(اللاعب يُثني الركبتين ويطوح الذراعين.)

كلير تساخاناسيان: هائلة هذه العضلات. هل سبق لك أن استخدمت قوتك هذه في خنق إنسان.

اللاعب الرياضي (يُجَمَّدُ من الدهشة وهو ثاني الركبتين.)**:** خنق إنسان؟

كلير تساخاناسيان: طوَّح ذراعيك مرة ثانية إلى الخلف، أيها اللاعب، ثم اطرح جسمك على الأرض.

إل (ضاحكًا)**:** إنَّ لكلارا نكتًا من ذهب. فكاهات تميت من الضحك.

(الطبيب ما زالت الدهشة تتملَّكه.)

الطبيب: لا أدري. إنَّ مثل هذه الفكاهات تخترق النخاع والعظم.

إل (سرًّا)**:** ملايين، وعدت بها.

(العمدة يشهق.)

---

[٢٩] نوسلين اسم علم مبتدع، وهو صيغة التصغير من نوس = بندقية، وقد سبق أنَّ الطبيب قصير القامة. (المترجم)

العمدة: ملايين.

إل: ملايين.

الطبيب: ربَّاه.

(صاحبة المليارات تحوِّل بصرها عن اللاعب الرياضي.)

كلير تساخاناسيان: الآن أشعر بالجوع، يا عمدة.

العمدة: إنَّنا ننتظر قرينك، يا سيدتي الكريمة.

كلير تساخاناسيان: لستم في حاجة إلى الانتظار. إنَّه يصطاد السمك، وأنا أنتظر الطلاق.

العمدة: الطلاق!

كلير تساخاناسيان: كذلك موبي سيُدهش لذلك. سأتزوَّج ممثلًا سينمائيًّا.

العمدة: لكنَّكِ قلتِ إنَّكما تعيشان حياةً زوجيةً سعيدةً.

كلير تساخاناسيان: كل زيجاتي كانت سعيدة. لكني كنت أحلم في شبابي بأن يُعقد قراني في كنيسة جوللين. وأحلام الشباب لا بد أن يُحقِّقها الإنسان. وسوف يكون ذلك في احتفالٍ كبيرٍ.

(الجميع يجلسون. كلير تساخاناسيان تتخذ لها مكانًا بين العمدة وإل. إلى جانب إل زوجته، وإلى جانب العمدة عقيلته. إلى اليمين على مائدة أخرى المعلم، القس، الشرطي، إلى اليسار الأربعة. مدعوون آخرون مع عقيلاتهم في المؤخرة، حيث تُضيء عبارة: مرحبًا كليري. العمدة ينهض، والفرح يشعُّ منه، وقد لفَّ فوطة المائدة حول عنقه، يدق على كأسه.)

العمدة: سيدتي الكريمة، أعزائي أهل جوللين. لقد انقضت خمس وأربعون سنة منذ تركت بلدتنا التي أسسها الأمير الناخب الشريف هاسو،[٣٠] وها هي ذي المدينة تمتد وادعة كما كانت بين غابة كونراد سفايل ومنخفض بوكنريد. خمس وأربعون سنة، أكثر من أربعة عقود، وقت طويل. لقد حدث الكثير في هذه الأثناء، الكثير المر. لقد حلَّ الحزن بالدنيا، وحلَّ

[٣٠] الأمير الناخب أمير له صلاحية الاشتراك في انتخاب القيصر. ولم يعرف التاريخ الألماني أميرًا ناخبًا باسم «هاسو»، وقد ابتدع الكاتب ذلك ابتداعًا. (المترجم)

بنا أيضًا. لكنَّنا لم ننسك أبدًا يا سيدتي الكريمة — يا عزيزتي كليري — (استحسان) لا أنتِ، ولا أسرتك. والدتك ذات البنية القوية (إل يهمس إليه بشيء) التي اختطفتها يد المنون في شبابها المبكر ضحية السُّل، ووالدك الرجل الشعبي، الذي أقام بجوار محطة السكك الحديدية بناءً يجتذب الكثير من الزائرين المتخصصين وغير المتخصصين (إل يهمس بشيء) بناء يلقى الكثير من الاهتمام، والدتك ووالدك، يا سيدتي! يعيشان في فكرنا دائمًا ويُمثلان في ذاكرتنا كأحسننا وأشجعنا. ثمَّ أنتِ يا سيدتي الكريمة وقد كنتِ بشَعرك الأشقر (إل يهمس إليه بشيء) بشَعرك الأحمر ذي الخصال، تجرين كالصيد البري خلال حوارينا التي أصبحت الآن خربة بكل أسف، من منَّا كان يجهلك. الجميع كانوا يحسون في ذلك الوقت سحر شخصيتك، ويتُوقُون لصعودك إلى أعلى ذروة للإنسانية (يخرج مذكرته). لم يطوك النسيان. فعلًا؛ فهذا جهدك في المدرسة، ما زال المعلمون يذكرونه للتلاميذ كمثل أعلى يُحتذى به، فقد كنتِ ممتازة وبوجه خاص، في أهم مادة من مواد الدراسة، في علم النبات والحيوان، كنتِ ممتازة امتيازًا يُعبِّر عن حنانك على المخلوقات كلها، على المخلوقات المحتاجة للعون والحماية. وكان حبك للعدل وميلك لعمل الخير مثار الدهشة في أوساط كثيرة في ذلك الحين (استحسان هائل) ألم تُقدِّم عزيزتنا كليري طعامًا إلى أرملة عجوز، اشترت لها بعض البطاطس بما اقتصدته من مصروف جيبها الذي كسبته بشق الأنفس من العمل عند الجيران، فأنقذتها من الموت جوعًا، وما هذا إلا مثل واحد من برها العميم أسوقه في هذا المقام (استحسان هائل) سيدتي الكريمة، أعزائي أهل جوللين، لقد ترعرعت البذور الرقيقة لهذه الاستعدادات الفطرية ترعرعًا قويًّا، وتحوَّل الصيد البري ذو الخصائل الحمراء إلى سيدة تغمر العالم ببرها، ويكفي أن يذكر الإنسان أعمالها الاجتماعية الخيرية من مصحات لرعية الأمهات وتكيات ومعونات للفنانين، ودور حضانة للأطفال؛ لذا أودُّ أن أهتف للعائدة إلى وطنها: تعيش، تعيش، تعيش! (استحسان).

(كلير تساخاناسيان تنهض.)

كلير تساخاناسيان: أيها العمدة، يا أهل جوللين، إنَّ فرحكم بزيارتي فرحًا مُجردًا من الأنانية يهز مشاعري. والحقيقة أنَّني في صغري كنت طفلة أخرى غير تلك التي جاءت أوصافها في خطبة العمدة، ففي المدرسة كان يُنْهَال عليَّ بالضرب، والبطاطس التي أعطيتُها للأرملة «بل» سرقتها أنا وإل، لا لننقذ القوادة العجوز من الموت جوعًا، وإنَّما لأشارك إل، ولو لمرة واحدة، فراشًا أحنَّ من غابة كونراد سفايل وشونة بيتر. هذا؛ ولكي

أسهم بنصيب في فرحتكم، أعلن أنَّني مستعدة لأن أهدي جوللين مليارًا؛ خمسمائة مليون للمدينة، وخمسمائة مليون تُقسَّم بين جميع العائلات.

(سكون مطبق.)

العمدة (مُتلَعثمًا)**:** مليار!

(الجميع ما زالوا جامدين.)

كلير تساخاناسيان: وذلك بشرطٍ واحدٍ.

(الجميع يهللون فجأةً تهليلًا يَفُوق الوصف. يرقصون، يرتقون الكراسي، الرياضي يقوم بحركات ... إلخ. إل يُربِّت على صدره مسرورًا.)

إل: كلارا الحبيبة، عظيم، مدهش، رائع، حبيبتي الساحرة الصغيرة بلحمها ودمها.

(يُقبِّلها.)

العمدة: بشرط واحد، تقولين يا سيدتي الكريمة؟ هل لي أن أعرف هذا الشرط؟
كلير تساخاناسيان: هذا هو الشرط، أعطيكم مليارًا لأشتري به العدالة.

(سكون مطبق.)

العمدة: وكيف السبيل إلى فهم هذا، يا سيدتي الكريمة؟
كلير تساخاناسيان: كما قلت.
العمدة: العدالة لا يستطيع إنسان أن يشتريها.
كلير تساخاناسيان: يستطيع المرء أن يشتري كل شيء.
العمدة: ما زلتُ لا أستطيع الفهم.
كلير تساخاناسيان: تقدَّم يا بوبي.

(مدير الأعمال يأتي من اليمين متَّجهًا إلى الوسط بين الموائد الثلاثة، يخلع النظارة السوداء التي يضعها.)

مدير الأعمال: لا أعرف ما إذا كان فيكم من يستطيع التعرُّف عليَّ الآن.

المعلم: القاضي الأول هوفر.

مدير الأعمال: بالضبط، القاضي الأول هوفر. قبل خمس وأربعين سنة كنت القاضي الأول في جوللين، ثمَّ رُقِّيت إلى منصب قاضٍ في محكمة الاستئناف في كافيج، وبقيت هناك حتى عَرضَت عليَّ السيدة كلير تساخاناسيان منذ خمس وعشرين سنة أن أعمل في خدمتها كمدير لأعمالها، فقبلت. ربما يبدو هذا العمل غريبًا بالنسبة لشخص تلقَّى دراسة جامعية عالية، لكنَّ الأجر المعروض كان مذهلًا لدرجة أن ...

كلير تساخاناسيان: ادخل في الموضوع يا بوبي.

مدير الأعمال: سمعتم أنَّ السيدة كلير تساخاناسيان تَعرض مليارًا في مقابل شراء العدالة. بعبارة أخرى: السيدة كلير تساخاناسيان تُقدِّم إليكم مليارًا إذا أصلحتم الظلم الذي أصابها في جوللين. السيد إل، هل تتكرَّم؟

(إل ينهض، شاحبًا، مذعورًا مدهوشًا في آنٍ واحد.)

إل: ماذا تريد مني؟

مدير الأعمال: تقدَّم يا سيد إل.

إل: نعم.

(يتقدَّم أمام المائدة يمينًا، يضحك مضطربًا، يهز كتفيه.)

مدير الأعمال: حدث هذا في عام ١٩١٠م وكنت أنا القاضي الأول في جوللين، وعُرضت عليَّ قضية أُبوَّة لِأَبُت فيها. كلير تساخاناسيان، في ذلك الوقت للآنسة كلارا فيشر، اتهمَتْك يا سيد إل بأنَّك والد لطفل وضعَتْه.

(إل يصمت.)

مدير الأعمال: وأنكرْتَ الأُبوَّة في ذلك الوقت، يا سيد إل، وأحضرت شاهدَين.

إل: حكايات تَقادَم عهدها، كنت صغيرًا سفيهًا.

كلير تساخاناسيان: يا توبي، ويا روبي، سُوقَا إلينا كوبي ولوبي.

(العملاقان ماضِغا اللادن يسوقان الخصِيَّين الأعمَيَين إلى وسط المسرح وهما يتماسكان باليدين فرحَيْن.)

الاثنان: ها نحن أولاء، ها نحن أولاء.

مدير الأعمال: هل تعرف هذين الاثنين يا سيد إل؟

(إل يصمت.)

الاثنان: نحن كوبي ولوبي، نحن كوبي ولوبي.

إل: لا أعرفهما.

الاثنان: لقد غيَّرْنا أنفسنا، لقد غيَّرْنا أنفسنا.

مدير الأعمال: قُولا اسميكما.

الأول: يعقوب هونلاين، يعقوب هونلاين.

الثاني: لودفيج شبار، لودفيج شبار.

مدير الأعمال: والآن يا سيد إل؟!

إل: لا أعرف من أمرهما شيئًا.

مدير الأعمال: يا يعقوب هونلاين، ويا لودفيج شبار، هل تعرفان السيد إل؟

الاثنان: نحن أعميان، نحن أعميان.

مدير الأعمال: هل تعرفانه من صوته؟

الاثنان: من صوته، من صوته.

مدير الأعمال: في عام ١٩١٠م كنت أنا القاضي، وكنتما الشاهدَين. عَلامَ أقسمتما يا لودفيج شبار، ويا يعقوب هونلاين، أمام محكمة جوللين؟

الاثنان: على أنَّنا اختلينا بكلارا، على أنَّنا اختلينا بكلارا.

مدير الأعمال: على ذلك أقسمتما أمامي، أمام المحكمة، أمام الله. هل كانت تلك الحقيقة؟

الاثنان: حلفْنا كذبًا، حلفْنا كذبًا.

مدير الأعمال: لماذا يا لودفيج شبار، ويا يعقوب هونلاين؟

الاثنان: إل رشانا، إل رشانا.

مدير الأعمال: بماذا؟

الاثنان: بلتر من مشروب الأشنبص، بلتر من مشروب الأشنبص.

كلير تساخاناسيان: والآن قُصَّا ما فعلْتُه بكما يا كوبي، ولوبي.

مدير الأعمال: قُصَّا ذلك.

الاثنان: السيدة بعثَت إلينا مَن بحث عنَّا، السيدة بعثت إلينا مَن بحث عنَّا.

مدير الأعمال: نعم، حدث هذا. كلير تساخاناسيان بعثت مَن بحث عنكما في جميع أنحاء الدنيا. كان يعقوب هونلاين قد هاجر إلى كندا، وكان لودفيج شبار قد هاجر إلى أستراليا، لكنَّها عثرت عليكما، ثم ماذا فعلَتْ بكما؟

الاثنان: أسلمَتْنا إلى توبي وروبي، أسلمتنا إلى توبي وروبي.

مدير الأعمال: وماذا فعل توبي، وروبي بكما؟

الاثنان: خصَيَانا وأعمَيانا، خصَيَانا وأعمَيانا.

مدير الأعمال: هذه هي القصة: قاضٍ، مدَّعٍ، شاهِدَا زُور، حُكْم خاطئ في عام ١٩١٠م. أليس كذلك يا مُدَّعية؟

(كلير تساخاناسيان تنهض.)

كلير تساخاناسيان: هو ذاك.

إل (يضرب الأرض بقدميه)**:** لقد عفى الدهر على ذلك، كل ذلك عفى عليه الدهر. حكاية قديمة، حمقاء.

مدير الأعمال: وماذا حدث للطفل يا مُدَّعية؟

كلير تساخاناسيان (بصوت منخفض)**:** عاش عامًا.

مدير الأعمال: وماذا حدث لكِ؟

كلير تساخاناسيان: أصبحتُ عاهرة.

مدير الأعمال: لماذا؟

كلير تساخاناسيان: حُكم المحكمة هو الذي صيَّرني كذلك.

مدير الأعمال: والآن تريدين العدل يا كلير تساخاناسيان؟

كلير تساخاناسيان: في إمكاني الحصول عليه، مليار لجوللين إنْ قَتل أي واحد من أهلها ألفريد إل.

(سكون مطبق، زوجة إل ترتمي على زوجها، تحطيه بذراعيها.)

زوجة إل: فريدي.[٣١]

إل: ساحرتي الصغيرة، لا يُمكن أن تطلبي هذا.

[٣١] صيغة مداعَبة من ألفريد. (المترجم)

كلير تساخاناسيان: لقد سارت الحياة من بعد ذلك شوطًا طويلًا، لقد سارت الحياة شوطًا طويلًا، لكني لم أنْسَ يا إل، لم أنْسَ غابة كونراد سفايل، ولا شونة بيتر، ولا حجرة نوم الأرملة بول، ولا خيانتك، والآن تقدَّمت بنا السِّن كِلَيْنا، أنتَ تدهورتَ، وأنا مزقَني الجرَّاحون بمشارطهم، الآن أريد أن نُصفِّي الحساب بيننا، أنتَ اخترت حياتك واضطررتني إلى الحياة التي عشتُها، لقد قلتَ لتوِّك: إنَّك توَد لو انتفى الزمان، ونحن في غابة صِبانا المفعَمة بالماضي الفاني. لقد ألغيتُ أنا الزمان الآن، وأريد العدل، العدل بمليار.

(العمدة ينهض، شاحبًا، وقورًا.)

العمدة: سيدتي تساخاناسيان، إنَّنا ما زلنا في أوروبا، ما زلنا في عِدَاد غير الكافرِين. إنَّني باسم مدينة جوللين أرفض العرض، باسم الإنسانية. خيرٌ لنا أن نَظل فقراء عن أن نُخَضِّب أيديَنا بالدماء.

(استحسان هائل.)

كلير تساخاناسيان: إني مُنتظِرة.

الفصل الثاني

البلدة، ملامح فقط، في المؤخرة فندق «الرسول الذهبي». من الخارج؛ واجهة خربة على الطراز الشبابي،[1] شرفة. إلى اليمين لافتة: ألفريد إل، محل تجارة، تحتها منضدة محل تجاري قذرة، وراءها رفٌّ عليه بضائع قديمة. كلما مرَّ شخص خلال الباب الوهمي للمحل دقَّ ناقوس رقيق. إلى اليسار لافتة: الشرطة. تحتها منضدة خشبية عليها جهاز تليفون. كرسيان. الوقت صباحًا. روبي وتوبي يأتيان من اليسار وهما يَمضغان اللادن، ويَحمِلان باقات وزهورًا عبر المسرح إلى الخلف حيث الفندق، وكأن ذلك لجنازة. إل ينظر إليهما من خلال النافذة، ابنته جاثمة على ركبتيها تكنس الأرض، ابنه يدُسُّ سيجارة في فمه.

إل: باقات.

الابن: كل صباح يأتون بمثلها من المحطة.

إل: للنعش الفارغ في «الرسول الذهبي».

الابن: وهذا لا يُثير الرعب في نفس أي فرد.

إل: البلدة في صَفِّي.

(الابن يشعل السيجارة.)

---

[1] طراز من الطُّرُز الفنية دام من ١٨٩٠م إلى ١٩٠٥م تقريبًا، وسُمِّي شبابيًّا نِسبة إلى مجلة «الشباب» التي كانت تظهر في ميونيخ في ذلك العصر. ويهتم هذا الاتجاه الفني — خلافًا للاتجاه التأثيري، والاتجاه التاريخي — ببساطة وجمال الأشكال في جوانب الحياة اليومية، بالزخرفة، بتجاهل العامل المكاني، وبالميل إلى القِيَم الرمزية. والأسلوب الشبابي في نظر المعاصرين من العامة «أسلوب عجائزي». (المترجم)

إل: هل تأتي الوالدة للإفطار؟

الابنة: قالت: إنَّها ستبقى فوق؛ إنَّها تَشعر بالتعب.

إل: إنَّ لكم أمًّا طيبة يا أولادي، فعلًا، لا بد أن أقول لكما ذلك ولو مرة. أُم طيبة، يجب أن تبقى فوق، يجب أن ترعى نفْسَها، ثم لنأكل نحن معًا، لم نفعل ذلك منذ مدة طويلة. سأُحضر بيضًا وعُلبة من لحم الخنزير الأمريكي المحفوظ، نريد أن نوسِّع على أنفسنا، كما كنَّا نفعل في الأوقات الطيبة، عندما كان كوخ الساحة المشمسة مزدهرًا.

الابن: أرجو أن تُعفيني من ذلك.

(يلقي بالسيجارة.)

إل: لا تريد أن تأكل معنا يا كارل؟

الابن: سأذهب إلى المحطة؛ هناك عامِل مريض، فربما احتاجوا إلى بديل له.

إل: العمل في الخطوط الحديدية تحت أشعة الشمس الحارقة ليس خليقًا يا بُني.

الابن: أيُّ عمل خير من لا عمل.

(ينصرف، الابنة تنهض.)

الابنة: أنا أيضًا ذاهبة.

إل: أنتِ كذلك، هكذا! إلى أين إذن، إن كان لي أن أسأل الآنسة ابنتي؟

الابنة: إلى مكتب العمل؛ ربما كانت هناك وظيفة خالية.

(الابنة تنصرف، يبدو على إل التأثر، يعطس في منديله.)

إل: أبناء طيبون، أبناء شجعان.

(تنطلق بعض نغمات قيثارة من ناحية الشرفة.)

صوت كلير تساخاناسيان: ناوِلني ساقي اليسرى يا بوبي.

صوت مدير الأعمال: لا أجدها.

صوت كلير تساخاناسيان: خلف زهور الخطبة على المنضدة.

(إلى إل يأتي الزبون الأول، (الأول).)

إل: صباح الخير، يا هوفباور.
الأول: سجاير.
إل: مما تأخذ منها كل صباح؟
الأول: لا أريد هذه، أريد الخضراء.
إل: إنَّها أغلى.
الأول: اكتبها على الحساب.
إل: سأفعل؛ لأنَّها لك أنت يا هوفباور، ولأنَّ علينا أن نَتماسك ونَتساند.
الأول: هناك شخص يعزف على قيثارة.
إل: مُجرِم من مُجرِمِي سنج سنج.

(يأتي الأعميان من الفندق يحملان شصَّيْن، وأدوات أخرى من لوازم صيد السمك.)

الاثنان: صباحًا جميلًا يا ألفريد، صباحًا جميلًا.
إل: اختطَفَكما الشيطان.
الاثنان: نحن ذاهبان للصيد، نحن ذاهبان للصيد.

(ينصرفان إلى اليسار.)

الأول: إنَّهما ذاهبان إلى نهير جوللين.
إل: بِشصَّي زوجها السابع.
الأول: يُقال إنَّه خسر مَزارع التَّبغ التي كان يَملِكها.
إل: وقد آلَت الآن هي الأخرى إلى صاحبة المليارات.
الأول: ستُقِيم بها مع زوجها الثامن حفلة قران رائعة. بالأمس تم الاحتفال بالخطبة.

(تأتي كلير تساخاناسيان إلى الشرفة التي في المؤخرة مرتدية الروب دي شامبر. تُحرِّك اليد اليمنى والساق اليسرى. يمكن عزف أنغام متفرقة على القيثارة لتصاحب المشاهد الجارية في الشرفة، وتُشبه الألحان الإلقائية في الأوبرا بعض الشيء، وتتنوَّع هذه الألحان بحسب معنى النصوص، تارة فالتس، وتارة قطع من السلامات الوطنية المختلفة، إلخ.)

كلير تساخاناسيان: لقد تجمَّعَت أجزائي من جديد.[٢] اللحن الشعبي الأرمني يا روبي.

(لحن على القيثارة.)

كلير تساخاناسيان: أَحَب القطع الموسيقية إلى نفس تساخاناسيان، كان دائمًا يريد سماعها كل صباح، كان رجلًا كلاسيكيًّا، عملاق المال العجوز هذا، صاحب ناقلات البترول التي لا تُحصَى ولا تُعَد، وإسطبلات خيول السباق، وكان يملك علاوة على ذلك مليارات عديدة؛ لذا كان الزواج منه أمرًا مفيدًا. كان أستاذًا معلِّمًا كبيرًا، وأستاذًا في الرقص، ومتمكِّنًا من كافَّة الأعمال الشيطانية، وقد تعلَّمتُ منه كل شيء.

(امرأتان تُقبِلان. تعطيان إل إناءَي لبن.)

المرأة الأولى: لبن، يا سيد إل.

المرأة الثانية: وهذا إنائي، يا سيد إل.

إل: صباح الخير والجمال. لتر لكل واحدة منكن يا سيداتي.

(يكشف قِدر لبن ويَهم بالغرف.)

المرأة الأولى: لبن كامل الدسم، يا سيد إل.

المرأة الثانية: لتران من اللبن كامل الدسم، يا سيد إل.

إل: لبن كامل الدسم.

(يكشف قِدرًا آخر، يغرف بعض اللبن وهي تتأمل الصباح من خلال نظارتها.)

كلير تساخاناسيان: صباح خريفي جميل، ضَباب طفيف في الحواري، دخان فِضِّي، وفوق كل ذلك سماء زرقاء في لون زهر البنفسج كَتِلك التي كان الجراف هولك يُصوِّرها، الجراف هولك زوجي الثالث، وزير الخارجية، فقد كان يشتغل بالتصوير أثناء عطلته، كان ذلك شيئًا فظيعًا.

(تجلس في تكلف.)

---

[٢] تعني ضُمَّت أجزاؤها المتفرِّقة من أعضاء تعويضية وما شابه إلى بعضها فصارت شخصًا، كما تُجمع أجزاء السيارات والآلات في مصانع التجميع لتصبح سيارات وآلات. (المترجم)

كلير تساخاناسيان: كان الجراف[٣] كله فظيعًا.

المرأة الأولى: وزبدة، مائتَي جرام.

المرأة الثانية: وخبزًا أبيض، كيلوين.

إل: لعل السيِّدتَيْن قد ورِثَتا، لعلهما قد ورِثَتا.

المرأتان: اكتب على الحساب.

إل: الكل للفرد، والفرد للكل.

المرأة الأولى: وشوكولاتة ماركتين وخمسة فنكات.[٤]

المرأة الثانية: ولي بأربعة ماركات وخمسين فنكًا.

إل: أكتب ذلك أيضًا على الحساب؟

المرأة الأولى: أيضًا.

المرأة الثانية: سنأكلها هنا، يا سيد إل.

المرأة الأولى: لديك أجمل مكان لمثل ذلك، يا سيد إل.

(تجلسان في مؤخرة المحل وتأكلان شوكولاتة.)

كلير تساخاناسيان: واحد ونستون؛ أريد أن أُجرِّب مرة نوعًا من من إنتاج زوجي السابع، الآن بعد أن تم الطلاق منه، من موبي المسكين بِغَرامه بصيد السمك، لا بد أنَّه يجلس حزينًا في القطار السريع المتَّجِه إلى البرتغال.

(مدير الأعمال يُقدِّم إليها سيجارًا ويشعله لها.)

الأول: ها هي ذي تجلس في شُرفَتها وتُدخِّن سيجارها.

إل: دائمًا أنواعًا غالية غلاء آثِمًا.

الأول: تبذير، كان الأحرى بها أن تخجل من ذلك أمام إنسانية أصابها الفقر.

كلير تساخاناسيان (تدخن)**:** شيء عجيب؛ طعمه مقبول.

---

[٣] لقب ألماني يُعادل لقب بارون. (المترجم)

[٤] لم ترد في المسرحية أسماء العملة المستعمَلة وقد اعتبرناها ماركات. وفنكات (الفنك ١ / ١٠٠ من المارك). (المترجم)

إل: إنَّها سيئة الحساب، فأنا يا هوفباور؛ مُذنِب قديم الذنْب، ومن منَّا ليس كذلك. كان ما فعلته بها طيْشَ شباب شرير، أمَّا الساعة التي رفض فيها جميع أهل جوللين عَرْضها في فندق الرسول الذهبي بإجماع الأصوات رغم بؤسهم؛ فقد كانت أجمل ساعة في حياتي.

كلير تساخاناسيان: ويسكي، يا بوبي، ويسكي صِرف.

(يُقبِل زبون آخر، فقير مُهلْهَل الثياب، مثل الجميع؛ (الثاني).)

الثاني: صباح الخير. سيكون الجو حارًّا اليوم.

الأول: فترة الجو الصَّحْو مستمِرَّة.

إل: عندي زبائن هذا الصباح، لم تكن تأتيني الزبائن طوال الوقت الذي مضى، والآن تنهمر عليَّ الزبائن منذ أيام!

الأول: لأنَّنا نقف في صَفِّك، في صَف عزيزنا إل صامدين كالصخر.

المرأتان (وهما تأكلان الشوكولاتة)**:** صامدين كالصخر، يا سيد إل، صامدين كالصخر.

الثاني: وأخيرًا؛ فأنت أحب الشخصيات.

الأول: وأهَمُّها.

الثاني: وستُنتَخَب عمدة في الربيع.

الأول: هذا حق كما أنَّ الموت حق.

المرأتان (وهُمَا تأكلان الشوكولاتة)**:** حق كما أنَّ الموت حق، يا سيد إل، حق كما أنَّ الموت حق.

الثاني: قليلًا من الأشنبص.

(إل يمد يده إلى الرَّف.)

(مدير الأعمال يُقدِّم ويسكي.)

كلير تساخاناسيان: أيقِظ التاسع؛ لا أحب أن ينام أزواجي هكذا طويلًا.

إل: ثلاثة ماركات وعشرة فنكات.[٥]

---

[٥] لم ترد في المسرحية أسماء العملة المستعمَلة وقد اعتبرناها ماركات، وفنكات: (الفنك ١ / ١٠٠ من المارك). (المترجم)

الثاني: ليس هذا النوع هو الذي أريده.
إل: ولكنَّك كنتَ دائمًا تشربه.
الثاني: كونياك.
إل: ثَمنُه عِشرون ماركًا وخمسة وثلاثون فنكًا، لا يقدر على شرائه أحد.
الثاني: بل يجب أن يوسِّع الإنسان على نفسه.

(تنطلق على المسرح بنت نصف عارية أو تكاد، توبي من ورائها.)

المرأة الأولى (وهي تأكل الشوكولاتة)**:** مُشين هذا الذي تفعله لويزة.
المرأة الثانية (وهي تأكل الشوكولاتة)**:** ولكنَّها مع ذلك خطيبة الموسيقي الأشقر، بشارع برتولد-شفارتس.

(يُنزِل الكونياك من الرَّف.)

إل: تَفضَّل.
الثاني: وتبغ للغليون.
إل: جميل.
الثاني: صنف مُستورَد.

(إل يحسب الجملة.)

(يأتي الزوج رقم ٨ إلى الشُّرْفة، وهو مُمثِّل سينمائي، طويل، ممشوق القامة، أحمر الشارب، في روب دي شامبر. من الممكن أن يؤدي دوره الممثل الذي أدى دور الزوج ٧.)

الزوج ٨: هوبسي،[٦] إنَّه لرائع أول إفطار لنا معًا بعد الخطبة، كأنَّه حلم، شرفة صغيرة، شجرة زيزفون ذات حفيف، نافورة بلدية ذات خرير، دجاجات تجري فوق بازلت الطريق، في ركن من المكان نسوة يُثرثرن عن مشاكلهن الصغيرة وبرج الكنيسة خلف أسطح الدور.
كلير تساخاناسيان: اجلس يا هوبي، لا تتكلم؛ أنا أرى المنظر بنفسي، والأفكار ليست ميدانك.

[٦] هوبسي اسم من أسماء المداعبة. (المترجم)

الثاني: والآن يجلس الزوج هو الآخَر هناك فوق.
المرأة الأولى (تأكل شوكولاتة)**:** الثامن.
المرأة الثانية (تأكل شوكولاتة)**:** رجل جميل، ممثل سينمائي، ابنتي رأته يُمثِّل دور سارق الصيد في فيلم من أفلام جانجهوفر.
المرأة الأولى: ورأيتُه أنا في دور القس في فيلم من أفلام جراهام جرين.

(كلير تساخاناسيان يُقبِّلها الزوج ٨. لحن على القيثارة.)

الثاني: بالمال يستطيع الإنسان أن يحصل على كل شيء.

(يبصق.)

الأول: لكن ليس ذلك عندنا.

(يضرب على المائدة بقبضته.)

إل: ثلاثة وعشرون ماركًا وثمانون فنكًا.
الثاني: اكتبها على الحساب.
إل: سأقبل الاستثناء هذا الأسبوع، ولكن عليك أن تدفع أول الشهر عندما تقبض معاش المتعطِّلِين.

(الثاني يذهب إلى الباب.)

إل: هيلمسبرجر!

(يظل واقفًا. إل يذهب إليه.)

إل: أتلبس حذاءً جديدًا؟! حذاء أصفر جديدًا؟
الثاني: نعم!

(ينظر إلى قدَمَي الأول.)

إل: وأنت كذلك يا هوفباور؟! أنت أيضًا تلبس حذاء جديدًا.

(ينظر نحو المرأتين، يذهب إليهما، بطيئًا، مذعورًا.)

إل: وأنتما كذلك. أحذية صفراء جديدة، أحذية صفراء جديدة!
الأول: لا أدري ماذا يضيرك في هذا؟
الثاني: لا يُمكن أن يسير الإنسان إلى الأبد في أحذية قديمة.
إل: أحذية جديدة! وكيف استطعتم شراء أحذية جديدة؟
المرأتان: أخذناها على الحساب، يا سيد إل، أخذناها على الحساب.
إل: أخذتموها على الحساب؟! وعندي أيضًا أخذتم ما تريدون على الحساب، تبغ من نوع أجود، لبن من نوع أفضل، كونياك. لماذا أثقلتم أنفسكم فجأة بالديون في المحلات؟
الثاني: بل تداينًا عندك أيضًا.
إل: ممَّ تريدون أن تُسدِّدوا؟

(صمت. يقذف الزبائن بالبضائع. الجميع يَفرُّون.)

إل: ممَّ تريدون أن تُسدِّدوا؟ ممَّ تريدون أن تُسدِّدوا؟ مم؟ مم؟

(يسقط إلى الوراء.)

الزوج ٨: هناك ضجة في البلدة.
كلير تساخاناسيان: إنَّها الحياة في بلدة صغيرة.
الزوج ٨: يبدو أنَّ شيئًا ما يجري في المحل التجاري، هناك مِن تَحتِنا.
كلير تساخاناسيان: لا بد أنَّهم يتشاجرون على ثَمن اللحم.

(لحن قوي على القيثارة. الزوج ٨ يَهُب مذعورًا.)

الزوج ٨: يا ساتر، هوبسي! هل سمعت؟
كلير تساخاناسيان: النمر الأسود، إنَّه يزأر.
الزوج ٨ (مندهشًا)**:** نمر أسود؟
كلير تساخاناسيان: من باشا مراكش، هدية. إنَّه يسير ويدور في قاعة الاستقبال المجاوِرة. قُطيطة كبيرة شريرة لها عينان يتطاير منهما الشرر، إني أحبها كثيرًا.

(الشرطي يجلس أمام المنضدة على اليسار، يتجرَّع البيرة، يتكلَّم ببطء وتُؤَدة. يُقبِل إل من الخلف.)

كلير تساخاناسيان: يمكنك أن تحضر بالإفطار، يا بوبي.

الشرطي: ماذا تريد يا إل؟ اجلس.

(إل يظل واقفًا.)

الشرطي: إنَّك ترتعد.
إل: إنَّني أُطالب بالقبض على كلير تساخاناسيان.

(الشرطي يُعمِّر غليونه ويشعله باطمئنان.)

الشرطي: غريب، عجيب جدًّا.

(مدير الأعمال يضع الإفطار، يحضر البريد.)

إل: إنَّني أُطالب بذلك بصفتي عُمدة المستَقْبَل.
الشرطي (ينفث سحابات من الدخان.)**:** لم يُجْرَ الانتخاب بعد.
إل: اقبض على السيدة فورًا.
الشرطي: معنى ذلك أنَّك تريد تقديم بلاغ في السيدة، أمَّا أن يُقبض عليها أو لا يُقبض، فأمر تَقطَع فيه الشُّرطة، هل اقترفَتْ جُرمًا؟
إل: إنَّها تُحرِّض أهل بلدتنا على قتلي.

(يصب لنفسه بعض البيرة.)

كلير تساخاناسيان: البريد، خطاب من أيك.[٧] نهرو، إنَّهم يهنئون.
إل: هذا واجبك.
الشرطي: عجيب، عجيب جدًّا.

(يَحتسِي البيرة.)

إل: بل أكثر أمور الدنيا طبيعية.
الشرطي: يا عزيزي إل، إنَّ الأمر ليس طبيعيًّا كما تزعم، لِنبحث القضية دون تَحامُل، السيدة تَقترِح على البلدة، لقاء مليار أن — أنت تعلم ما أَعْني — هذا صحيح، فقد

[٧] = دوايت دافيد أيزنهاور رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٥٣–١٩٥٨م. (المترجم)

كنت حاضرًا، ولكن هذا لا يُشكِّل في نظر البوليس سببًا لاتخاذ إجراءات ضد السيدة كلير تساخاناسيان؛ إنَّنا في نِهاية المطاف مُقيَّدون بالقوانين.

إل: تحريض على القتل.

الشرطي: اسمع يا إل. التحريض على القتل لا يكون إلا إذا كان الاقتراح بالقتل جديًّا، هذا شيء جِد واضح.

إل: وهذا ما أَعْنِي أيضًا.

الشرطي: بالضبط، إلا أنَّ الاقتراح لا يُمكن أن يُحمَل محمل الجد؛ لأنَّ مبلغ المليار مُبالَغ فيه، ولا بد أنَّك ترى أيضًا أنَّ الإنسان قد يدفع في مثل هذا العمل ألفًا أو ربما ألْفَين، لا أكثر، مطلقًا، ثِقْ في ذلك كل الثقة، وهذا يؤكد أنَّ الاقتراح لم يُحمَل محمل الجد، وحتى لو كان الاقتراح جديًّا، فإنَّ الشرطة لا تستطيع أن تَعتبِر السيدة جادة؛ لأنَّها في هذه الحالة تكون مجنونة، فهمتَ؟

إل: الاقتراح يُهدِّدني أنا يا سيادة الشرطي، سواء أكانت السيدة مجنونة أم لا، هذا منطقي.

الشرطي: غير منطقي؛ لا يُمكن أن يُهدِّدك مجرد اقتراح، وإنَّما تنفيذ الاقتراح هو الذي يُهدِّد، أرني محاولة فعلية لتنفيذ هذا الاقتراح، رجلًا على سبيل المثال يوجِّه إليك سلاحًا ناريًّا، وستراني أحضر في سرعة الريح، بل ليس هناك فرد واحد يريد أن يُنفِّذ هذا الاقتراح، الأمر على العكس من ذلك، لقد كان التصريح الذي صَدَر في فندق الرسول الذهبي مؤثِّرًا أبلغ التأثير، لا بد أن أُهنِّئك عليه، ولو بعد فوات الأوان.

(يحتسي البيرة.)

إل: أنا لست آمنًا تمامًا، يا سيادة الشرطي.

الشرطي: لستُ آمنًا تمامًا؟

إل: إنَّ زبائني يشترون لبنًا من نوع أحسن، وخبزًا من نوع أفضل، وسجاير خيرًا من تلك التي اعتادوا شراءها.

الشرطي: بل يجب أن تُسرَّ لذلك؛ تجارتك إذن تسير سيرًا أفضل من ذي قبل.

(يحتسي البيرة.)

كلير تساخاناسيان: دعهم يشترون أسهم دوبون،[^] يا بوبي.

إل: هيلمسبرجر اشترى مني بعض الكونياك، وهو مع ذلك لا يربح شيئًا منذ سنين ويعيش على ما تَجود به التِّكِيَّة.

الشرطي: سأجرب شُرب الكونياك الليلة، فأنا مَدعُو عند هيلمسبرجر.

(يحتسي البيرة.)

إل: الجميع يلبسون أحذية جديدة، أحذية صفراء جديدة.

الشرطي: وما اعتراضك على الأحذية الجديدة؟ أنا أيضًا ألبس حذاءً جديدًا.

(يريه قدميه.)

إل: وأنت أيضًا؟!

الشرطي: انظر.

إل: وصفراء أيضًا؟! وتشرب من بيرة بيلسن.

الشرطي: طعمها جميل.

إل: وكنتَ قُبلًا تشرب البيرة المحلية.

الشرطي: كانت فظيعة.

(موسيقى صادرة من راديو.)

إل: أتسمع؟

الشرطي: ماذا؟

إل: موسيقى.

الشرطي: الأرملة الطروب.

إل: راديو.

الشرطي: في بيت هاجهولتسر بجوارنا، كان يجب عليه قانونًا أن يُغلِق النافذة.

(يأخذ مذكرة من دفتره.)

[^] Dupont-Aktien

إل: وكيف تَمكَّن هاجهولتسر من شراء راديو؟
الشرطي: هذا شأنه.
إل: وأنت، يا سيادة الشرطي، ممَّ تريد أن تدفع ثمن بيرتك البيلسن، وحذائك الجديد؟
الشرطي: هذا شأني.

(يدق التليفون الذي على المنضدة؛ الشرطي يرفع السماعة.)

الشرطي: مركز شرطة جوللين.
كلير تساخاناسيان: اتَّصِل بالروسي تليفونيًّا يا بوبي، وبلِّغْه أنَّني موافِقَة على اقتراحه.
الشرطي: تمامًا.

(يُعيد السماعة.)

إل: وزبائني، ممَّ سيدفعون؟
الشرطي: لا شأن للشرطة بهذا.

(ينهض ويأخذ البندقية من فوق مسند الكرسي.)

إل: ولكنَّه شأني؛ لأنَّهم سيَدفَعون مني.
الشرطي: ليس هناك مِن فَرْد يُهدِّدك.

(يشرع في تعمير البندقية.)

إل: المدينة تستدين، بالدَّيْن يزداد الرخاء، وبالرخاء تزداد الحاجة إلى قَتْلي، وهكذا يكفي السيدة أن تقعد في شُرفَتها، وتشرب القهوة وتُدخِّن السيجار وتنتظر، تنتظر فقط.
الشرطي: إنَّك تُخرف.
إل: كلكم تنتظرون.

(يقرع المنضدة.)

الشرطي: لقد أفرطت في شرب الأشنبص.

(يعبث بيده في البندقية.)

هكذا، الآن البندقية مُعمَّرة، يُمكنكَ أن تطمئن، الشرطة موجودة؛ لتحفظ للقوانين احترامها، ولترعى النظام وتحمي المواطنين، وهي تعرف واجبها، إن حدث وظهر أدنى اشتباه في تهديد في أي مكان أو من أية جهة، فسوف نتخذ اللازم يا سيد إل، يُمكنك أن تَطمئِن إلى ذلك.

إل (بصوت خفيض)**:** لماذا ركَّبتَ في فمك سنًّا ذهبية يا سيادة الشرطي؟
الشرطي: هه؟
إل: سنة ذهبية جديدة.
الشرطي: ألعله قد جنَّ؟

(هناك رأى إل أنَّ ماسورة البندقية موجهة إليه فرفع يديه ببطء.)

الشرطي: ليس لدَي وقت أيها الرجل، لا تُناقشنِي في أوهامك، لا بد أن أُعجِّل بالذهاب؛ فقد ضاع من صاحبة المليارات العجيبة جَروُها المدلَّل، النمر الأسود، عليَّ أن أقتنِصَه لها.

(ينصرف من الخلف.)

إل: أنا الذي ستقتنصونني، أنا.

(كلير تساخاناسيان تقرأ خطابًا.)

كلير تساخاناسيان: سيأتي مُصمِّم الأزياء، زوجي الخامس، أجمل أزواجي، لقد صمَّم لي كل أثواب زفافي، اعْزِف إحدى المينويتات يا روبي.

(يعزف منويتا على القيثارة.)

الزوج ٨: لكن زوجك الخامس كان جرَّاحًا.
كلير تساخاناسيان: بل السادس.

(تَفُض خطابًا آخر.)

كلير تساخاناسيان: من صاحب السكك الحديدية الغربية.
الزوج ٨ (مندهشًا)**:** لم أسمع عنه شيئًا البَتَّة.

كلير تساخاناسيان: زوجي الرابع، لقد أصبح فقيرًا، وأنا التي أملك الآن أَسهُمه، أغْرَيْته في «باكنجهام بالاس».[٩]

الزوج ٨: ألم يكن هو اللورد إسماعيل؟

كلير تساخاناسيان: بالضبط، أنت على حق يا هوبي، كنتُ قد نسيتُه تمامًا هو وقصره في يوركشير، ثمَّ هذا زوجي الثاني، كتب لي، تعرَّفتُ به في القاهرة، تَبادَلْنا القُبل تحت أقدام أبي الهول، كانت أُمسية مُؤثِّرة.

(يتحوَّل المنظر يمينًا، اللافتة «دار البلدية» تنزل. الثالث يأتي، يبعد خزينة المحل، ويُغيِّر وضع منضدته، فيُصبح من الممكن استخدامه كمكتب. العمدة يأتي، يضع مسدسًا على المكتب، يجلس. من اليسار يأتي إل. على الحائط عُلِّق تصميم لمبنًى جديد.)

إل: أريد أن أتحدَّث معك، يا عمدة.

العمدة: اجلس.

إل: حديثًا من رجل إلى رجل، بِصِفتي خليفتك.

العمدة: نعم.

(إل يظل واقفًا، ينظر إلى المسدس.)

العمدة: لقد هرب نمر السيدة تساخاناسيان، وهو الآن يُعربِد في الكنيسة كما يشاء؛ فلا بد أن يَتسلَّح الإنسان.

إل: بكل تأكيد.

العمدة: استدعَيتُ الرجال الذين يمتلكون أسلحة نارية، أمَّا الأولاد فَسيُحْجَزون في المدرسة.

إل (مُرتابًا)**:** هذه مصاريف كبيرة بعض الشيء.

العمدة: لاقتناص حيوان مُفتَرس.

(مدير الأعمال يأتي.)

---

[٩] القصر الملكي في لندن.

مدير الأعمال: مدير البنك الدولي يا سيدتي الكريمة، وصل لتوه بالطائرة من نيويورك.

كلير تساخاناسيان: لا أستطيع التكلُّم مع أحد الآن، عليه أن يرجع.

العمدة: ماذا يُؤرِّقك؟ أَفضِ بكل ما في صدرك.

إل (مرتابًا)**:** أنت تدخن نوعًا جيدًا.

العمدة: سيجارة بيجاسوس شقراء.

إل: غالية.

العمدة: ولذلك جيدة.

إل: كنتَ من قبل تُدخِّن نوعًا آخر.

العمدة: روسلي خمسة.

إل: أرخص من تلك.

العمدة: تَبغُها حامٍ جدًّا.

إل: كرافتة جديدة؟

العمدة: من الحرير.

إل: ولا شك أنَّك اشتريتَ أحذية جديدة أيضًا؟

العمدة: كلَّفتُ مَن يأتينا بها من كالبرشتات، غريب! ومن أين علمتَ بهذا؟

إل: لذلك أتيتُ.

العمدة: ماذا دهاك؟ إنَّك تبدو شاحبًا، أأنت مريض؟

إل: أنا خائف.

العمدة: خائف؟

إل: الرخاء يزداد.

العمدة: ما أغرب هذا! المفروض أن يكون ذلك مَصدَر سرور.

إل: أنا أطلب حماية السُّلطة.

العمدة: آه! ولماذا؟

إل: السيد العمدة يعرف الأمر جيدًا.

العمدة: أترتاب في شيء؟

إل: جائزة قدرها مليار ثمن لرأسي.

العمدة: اتصل بالشرطة.

إل: كنت الآن عند الشرطة.

العمدة: لا بد أنَّ ذلك قد طمأنك.

إل: رأيت في فم الشرطي سنًّا ذهبية جديدة تلمع.

العمدة: إنك تنسى أنَّك في جوللين، في مدينة ذات تقاليد إنسانية، جُوته أمضى ليلة فيها، وبرامس أَلَّف فيها إحدى رباعياته، هذه القيم تُقابلها واجبات.

(من اليسار يدخل رجل يحمل آلة كاتبة، الثالث.)

الرجل: الآلة الكاتبة الجديدة يا سيادة العمدة، ماركة ريمنجتون.

العمدة: أَدخِلْها المكتب.

(الرجل ينصرف من اليمين.)

العمدة: إنَّنا لا نستحق هذا الجحود، إذا كنتَ لا تستطيع أن تثق في جماعتنا، فإنَّك تُثير شفقتي، لم أكن أنتظر منك هذا المسلك العَدَمي، إنَّنا على أي حال نعيش في دولة تُؤمِن بالعدالة.

إل: إذن فَألقِ القبض على السيدة.

العمدة: هذا عجيب منك، عجيب جدًّا!

إل: هذا ما قاله الشرطي أيضًا.

العمدة: إنَّ تَصرُّف السيدة — يعلم الله — لا يُعتبَر تَصرُّفًا مستحيل الفهم؛ فإنَّك على أيَّة حال قد حرَّضت رجلين على شهادة الزُّور، وألقيتَ ببنت صغيرة في هُوَّة البؤس البَحْت.

إل: ومعنى هذا البؤس البَحْت، على أيَّة حال، بضعة مليارات، يا عمدة.

(صمت.)

العمدة: لنتكلم فيما بيننا مُخلِصين.

إل: هذا ما أرجوه.

العمدة: بين رجلين كما طلبتَ، ليس هناك باعِث خُلُقي يُخوِّل لك طلب القبض على السيدة، كذلك لا يصح لك أن تُصبح عمدة، يؤسفني أن أُضطر إلى تبليغك هذا.

إل: رسميًّا؟

العمدة: بتكليف من الأحزاب.

إل: فهمتُ.

(يتَّجه إلى اليسار نحو النافذة، يُدير ظهره إلى العمدة، يُحمْلق في النافذة.)

العمدة: ليس معنى استنكارنِا لاقتراح السيدة أنَّنا نُوافق على الجرائم التي أدَّت إلى هذا الاقتراح، ومَنصِب العمدة يتطلَّب صفات أخلاقية خاصة لم يَعُد في مقدورك تقديمها، لا بد لك أن تُقدِّر هذا. أمَّا أنَّنا فيما عدا ذلك سنظل نُكِن لك الاحترام والصداقة كما كان الحال في الماضي، فالأمر لا يحتاج إلى تبيان.

(يُقبِل روبي وتوبي من اليسار وهما يحملان باقات وزهورًا عبر المسرح، ويتواريان بها في فندق الرسول الذهبي.)

العمدة: الأفضل أن نلوذ بالصمت حيال هذا الأمر كله، وقد رجوت صحيفة الـ «فولكس بوته» [١٠] ألَّا تذكر من أمرك شيئًا.

(إل يلتفت.)

إل: إنَّهم منذ الآن يُزيِّنون نَعْشي، يا عمدة، الصمت خطير جدًّا بالنسبة إليَّ.

العمدة: لماذا إذن يا عزيزي إل؟ كان الأحرى بك أن تشكر صَنيعَنا حين ترانا نَبْسُطُ على فَعلتك الشريرة بُساط النسيان.

إل: إذا كنتَ تراني أتكلَّم فهذه فرصتي الأخيرة للنجاة.

العمدة: هذه هي الذروة، مَن إذن ذلك الذي يُهدِّدك؟

إل: واحد منكم.

(العمدة ينهض.)

العمدة: فيمن تشك؟ اذكر لي اسمًا معيَّنًا وأنا أفحص الأمر، لا تُبالِ.

إل: كلكم.

العمدة: إنَّني أحتج رسميًّا باسم المدينة ضد هذا القذف.

إل: لا أحد يريد أن يقتلني بنفسه، كل منكم يأمل أن يفعل ذلك فاعل غيره، ولا بد أن يقوم بذلك أحدهم يومًا ما.

العمدة: إنَّك ترى أوهامًا.

إل: إني أرى تصميمًا على الحائط، المبنى الجديد لدار البلدية؟

(يضرب على التصميم المُعلَّق.)

---

[١٠] جريدة.

العمدة: رَبَّاه، إنَّ لنا حق وَضْع ما نشاء من التصميمات.

إل: إنَّكم تُفكِّرون في موتي.

العمدة: يا عزيزي، إذا لم يَعُد لي باعتباري رجلًا سياسيًّا؛ أي حق في الإيمان بمستقبل أفضل، دون أن أُضطر إلى ارتكاب جريمة، فإني سأستقيل فورًا، ولك أن تَطمئِن إلى ذلك.

إل: لقد حَكمتم عليَّ بالإعدام.

العمدة: يا سيد إل.

إل (بصوت منخفض)**:** التصميم يُبرهِن على ذلك، يُبرهِن على ذلك.

كلير تساخاناسيان: أوناسيس سيأتي، الأمير والأميرة أغا.

الزوج ٨: على؟

كلير تساخاناسيان: شلة الرفييرا كلها.

الزوج ٨: صحفيون؟

كلير تساخاناسيان: من جميع أنحاء العالم؛ فحيث أَتزوَّج لا بد أن تُوجَد الصحافة، إنَّها في حاجة إليَّ، وأنا في حاجة إليها.

(تَفُض خطابًا آخر.)

كلير تساخاناسيان: من الجراف هولك.

الزوج ٨: هوبسي، هل لا بد لكِ فعلًا أن تَقرئي خطابات أزواجك السابقين أثناء أول إفطار لنا معًا؟!

كلير تساخاناسيان: لا أريد أن أَفقِد ترتيبهم في مُخيِّلتي.

الزوج ٨ (بألم)**:** أنا أيضًا الآخَر لي مشاكلي.

(ينهض ويحملق في البلدة من أسفل.)

كلير تساخاناسيان: ألا تسير سيارتك البورشه؟

الزوج ٨: هذه البلدة الصغيرة تضايقني، حقيقةً إنَّ شجرة الزيزفون تُحدِث حفيفًا، والطيور تشدو، والنافورة تُحدِث خريرًا، ولكنَّها كانت تفعل الشيء نفسه قبل نصف ساعة، ليس هنا شيء ذو بال لا في الطبيعة ولا في الناس، كل ما هنا، عبارة عن هدوء عميق لا يخالطه هم، شبع، راحة، ليس ثمة عظمة، ليس ثمة مأساة، وليست هناك أيَّة سمة أخلاقية مما يُميز عصرًا من عصور العظمة.

(من اليسار يأتي القس يحمل سلاحًا ناريًّا، يفرش منديلًا أبيض عليه صليب أسود على المنضدة التي كان الشرطي يجلس إليها من قَبْل، يُسنِد البندقية على حائط الفندق. خادم الكنيسة يساعده في لبس رداء الكهنوتية. ظلام.)

القس: ادخل الرواق يا سيد إل.

(إل يأتي من اليسار.)

القس: الدنيا مُظلِمة هنا، الجو أقرب إلى الرطوبة.
إل: لا أريد أن أضايقك، يا سيدي القس.
القس: بيت الله مفتوح لكل إنسان.

(يلحظ أنَّ نظر إل يقع على البندقية.)

القس: لا تدهش من وجود البندقية، نَمِر السيدة تساخاناسيان الأسْوَد يتسلَّل من مكان إلى آخر، وكان منذ لحظة هنا في المقاعد العلوية، وهو الآن في شونة بيتر.
إل: أنا أرجو عَونَك.
القس: لماذا؟
إل: أنا خائف.
القس: خائف؟ ممن؟
إل: من الناس
القس: أتخاف أن يقتلك الناس يا إل؟
إل: إنَّهم يطاردونني كما لو كنتُ حيوانًا وحشيًّا.
القس: لا ينبغي للمرء أن يخاف الناس، بل الله، ولا أن يخاف موت الجسد، بل موت الروح. أغلق أزرار الرداء الخلفية، يا خادم الكنيسة!

(في كل من حوائط المسرح يظهر مواطنون من جوللين، الشرطي أولًا، العمدة، الأربعة، المصوِّر، المعلم، كلهم يَتربَّصون، البنادق مُعدَّة للضرب، يَتسلَّلون من هنا وهناك.)

إل: الأمر يتعلَّق بحياتي.
القس: حياتك الخالدة.

إل: الرخاء يعم.

القس: عفريت ضميرك.

إل: الناس فَرِحون. البنات يضعن زينتهن، والصِّبْية يَلْبَسون قمصانًا مختلفة الألوان. المدينة تستعد لعيد قتلي، وأنا أتحطم من الرعب.

القس: إنَّ ما تُقاسيه أمر واقع، أمر واقع تمامًا.

إل: إنَّه الجحيم.

القس: الجحيم موجود فيك، أنت أكبر مني سنًّا وتعتقد أنَّك تعرف الناس، وما يعرف الإنسان إلَّا نفسه. إنَّك تعتقد الآن أنَّ الناس سيخونونك لقاء مال؛ لأنَّك من قَبْل خُنتَ بنتًا من أجل المال؛ تستنتج الحكم من فَعلَتك، وتتوقعه من الآخرين، وهذا طبيعي جدًّا؛ فسبب خوفنا موجود في قلوبنا، كائن في خطيئتنا، لو وعَيتَ هذا لقهرْتَ ما يُؤرقك ولاكتسبْتَ أسلحة تمكِّنك من ذلك.

إل: عائلة زيمتهوفر اشترت غسالة آلية.

القس: لا تهتم بهذا.

إل: على الحساب.

القس: بل اهتم بخلود روحك.

إل: واشترت عائلة شتوكار جهاز تليفزيون.

القس: أدِّ الصلاة، هات الحزام يا خادم الكنيسة.

(خادم الكنيسة يضع الحزام للقس.)

القس: فَتِّش في ضميرك، اسلك سبيل الندم، وإلَّا زادت الدنيا خوفك تأججًا، هذا هو السبيل الوحيد، لسنا نستطيع غيره.

(صمت. الرجال حاملو البنادق يختفون من جديد. ظلال على حواف المسرح. ناقوس المطافئ يَشْرع في الدق.)

القس: والآن يا سيد إل، عليَّ أن أقوم بمباشرة عملي، ينبغي أن أشرع في التعميد. هاتِ الكتاب المقدَّس يا خادم الكنيسة، وكتاب الطقوس، كتاب المزامير. الطفل الصغير بدأ يصرخ، ينبغي أن يُدفع به إلى ساحة الأمان، إلى الشعاع الوحيد الذي يُنير عالَمَنا.

(ناقوس آخر يَشْرع في الدق.)

إل: ناقوس آخر؟
القس: أليس كذلك؟ الصوت رائع؛ ممتلئ وقوي، إيجابي، إيجابي بحت.
إل (ينفجر صارخًا)**:** وأنت أيضًا، يا قس! أنت أيضًا!

(القس يرتمي على إل ويضمه إليه.)

القس: اهرب؛ إنَّنا ضعاف، المسيحيُّون منَّا وغير المسيحيين، اهرب، الجرس يُدوِّي في جوللين، ناقوس الخيانة، اهرب، لا تدفَعْنا إلى الفتنة ببقائك.

(رصاصتان تنطلقان. إل يخر على الأرض، القس يقع بجانبه.)

القس: اهرب، اهرب.
كلير تساخاناسيان: بوبي، أطلق بعضهم رصاصًا.
مدير الأعمال: تمامًا، يا سيدتي الكريمة.
كلير تساخاناسيان: ولماذا؟
مدير الأعمال: لقد أفلت النمر.
كلير تساخاناسيان: هل أصابوه؟
مدير الأعمال: إنَّه يرقد ميتًا أمام محل إل.
كلير تساخاناسيان: أسفي على الحيوان الصغير العزيز! سلام جنائزي يا روبي.

(مارش جنائزي على القيثارة. الشرفة تختفي. ناقوس يدق. المسرح يُصبح كما كان في بداية الفصل الأول. المحطة. ولكن لوحة مواعيد القطارات على الحائط جديدة، غير مُقطَّعة، وفي مكانٍ ما عُلِّقت لافتة رُسمت عليها شمس صفراء تنبعث منها الأشعة، وكُتبت عليها عبارة: قوموا برحلات إلى الجنوب. ولافتة أخرى عليها: ساعدوا تمثيليات الآلام في أوبارأمرجاو. كذلك يُلاحظ المشاهِد في المؤخِّرة بعض آلات رافعة بين البيوت، وكذلك الأسطح الجديدة. ضجة مُدوِّية مزلزِلة لقطار سريع مُنطلِق. أمام المحطة ناظر المحطة يؤدي التحية. من المؤخِّرة يأتي إل وبيده حقيبة صغيرة قديمة، ينظر حوله. مواطنون جوللينيون يُقْبلون من كل صَوب ببطء، كأنَّهم جاءوا مصادفة. إل يتردَّد، يظل واقفًا.)

العمدة: سلام عليك، يا إل.

الجميع: سلام عليك، سلام عليك.

إل (مُتردِّدًا)**:** عليكم السلام.

المعلم: أين تذهب بهذه الحقيبة؟

الجميع: إلى أين؟

إل: إلى المحطة.

العمدة: سنرافقك.

الجميع: سنرافقك، سنرافقك.

(يزداد وفود أهل جوللين.)

إل: خلُّوا عنكم، بكل إخلاص خلُّوا عنكم؛ ليس الأمر ذا أهمية.

العمدة: هل أنت مسافر يا إل؟

إل: أنا راحل.

الشرطي: وإلى أين؟

إل: لا أدري! إلى كالبرشتات، ومنها أُتابع الرحيل.

المعلم: هكذا، ثم تتابع الرحيل.

إل: إلى أستراليا؛ فهذا أفضل شيء، وهناك سأجد وسيلة للحصول على المال.

(يَتَّجه إلى المحطة.)

الجميع: إلى أستراليا، إلى أستراليا.

العمدة: ولماذا؟

إل (مُضطربًا.)**:** على أيَّة حال الإنسان لا يستطيع أن يعيش في مكان واحد دائمًا، حيث تتابع عليه الأيام والسنون.

(يشرع في العَدْو، يبلغ المحطة. الآخرون يتبعونه في تُؤَدة، يحيطون به.)

العمدة: تُهاجر إلى أستراليا! أمر يدعو للضحك.

الطبيب: هذا أخطر شيء بالنسبة لك.

المعلم: أحد الخصيَّيْن القصيرَين كان قد انتهى به الأمر إلى الهجرة لأستراليا.

الشرطي: أنت هنا أكثر أمنًا.

الجميع: أكثر أمنًا، أكثر أمنًا.

(إل يلتفت حوله في خوف، كما لو كان حيوانًا مُطارَدًا.)

إل (بصوت مُنخفِض): كتبتُ للمدير في كافيجن خطابًا.
الشرطي: ثم ماذا؟
إل: لم أتلقَّ ردًّا.
المعلم: سوء ظنك هذا لا سبيل إلى فهمه.
العمدة: لا أحد يريد أن يقتلك.
الجميع: لا أحد، لا أحد.
إل: مكتب البريد لم يرسل الخطاب.
المصور: غير ممكن.
العمدة: موظف البريد عضو في مجلس البلدة.
المعلم: رجل محل لكل ثقة.
الجميع: محل لكل ثقة، محل لكل ثقة.
إل: هنا. لافتة كتب عليها: قُومُوا برحلات إلى الجنوب.
الطبيب: ثمَّ ماذا؟
إل: شَاهِدوا تمثيليات الآلام في أوبارأمرجاو.
المعلم: ثم ماذا؟
إل: وهناك من يقومون بالبناء.
العمدة: ثم ماذا؟
إل: وكلكم تلبسون بنطلونات جديدة؟
الأول: ثمَّ ماذا؟
إل: وتزدادون غِنًى وثروة.
الجميع: ثمَّ ماذا؟

(ناقوس يدق.)

المعلم: ها أنت ذا ترى مقدار حُبِّنا لك.
العمدة: البلدة كلها ترافقك.

الجميع: البلدة كلها، البلدة كلها.
إل: لم أطلب إليكم الحضور لمرافقتي.
الثاني: ولكن لنا أن نُودِّعك.
العمدة: كأصدقاء قدامى.

(ضجة قطار. ناظر المحطة يتناول المؤشِّر. من ناحية اليسار يظهر مُحصِّل القطار كما لو كان قد قفز من القطار لِتَوِّه.)

المحصل (في صيحة بطيئة ممطوطة)**:** جوللين.
العمدة: هذا قطارك.
الجميع: قطارك، قطارك.
العمدة: والآن يا إل، أتمنى لك رحلة طيبة.
الجميع: رحلة طيبة، رحلة طيبة.
الطبيب: وحياة جميلة.
الجميع: وحياة جميلة.

(أهل جوللين يتجمَّعون حول إل.)

العمدة: لقد أزف الموعد، اركب القطار باسم الله إلى كالبرشتات.
الشرطي: ونتمنى لك حظًّا عظيمًا في أستراليا.
الجميع: حظًّا عظيمًا، حظًّا عظيمًا.

(إل يقف بلا حراك، يحملق في مُواطنِيه.)

إل (بصوت مُنخفِض)**:** لماذا تقفون جميعكم هنا؟
الشرطي: ماذا تريد إذن؟
ناظر المحطة: ركوب.
إل: لماذا تتجمعون حولي هكذا؟
العمدة: نحن لا نتجمَّع حولك مُطلقًا.
إل: أفسحوا الطريق.
المعلم: لقد أفسحنا الطريق وانتهينا.
الجميع: لقد أفسَحْنا الطريق، لقد أفسَحْنا الطريق.
إل: سيُوقِفُني واحد منكم.

الشرطي: هذا هراء، ما عليك إلا أن تركب القطار لترى أنَّ ذلك محض هراء.
إل: ابتعِدُوا.

(لا يتحرَّك أحد منهم، البعض يقفون واضعين أيديهم في جيوب البنطلونات.)

العمدة: لا أدري ماذا تريد؟ الرحيل من شأنك وحدك، اركب القطار إذن.
إل: ابتَعِدوا.
المعلم: إنَّ خوفك يثير الضحك.

(إل يَخر على ركبتيه.)

إل: لماذا تقفون هكذا قريبًا مني؟
الشرطي: لقد جُن الرجل.
إل: إنَّكم تريدون إبقائي.
العمدة: بل اركب.
الجميع: اركب، اركب.

(صمت.)

إل (بصوت مُنخفِض.)**:** سيرجعني أحدكم لو ركبتُ.
الجميع (يُؤكِّدون)**:** لن يحدث ... لن يحدث.
إل: أنا أعرف ذلك.
الشرطي: لقد أَزِف الوقت.
المعلم: اركب القطار إذن أيها الرجل الطيب.
إل: أنا أعرف ذلك، سيُرجِعني بعضكم، سيُرجِعني بعضكم.
ناظر المحطة: قيام.

(يرفع المؤشر، المحصِّل يقوم بحركة كما لو كان يقفز إلى القطار، وإل منهار، يُحيط به أهل جوللين، يُغطِّي وجهه بيديه.)

الشرطي: أترى؟ لقد انطلق وتركك.

(الجميع يتركون إل المنهار، يذهبون إلى الخلف، ببطء، يختفون.)

إل: أنا ضائع.

الفصل الثالث

شونة بيتر. إلى اليسار تجلس كلير تساخاناسيان في هَودَجها بلا حراك، في ثوب العرس الأبيض، والطرحة، إلخ. إلى أقصى اليسار سُلَّم، وعربات دريس، عربة حنطور قديمة، قَش، في الوسط دَن صغير. ومن أعلى تتدلَّى بعض الأسمال، غرائر بالية، خيوط عنكبوت هائلة منتشرة. مدير الأعمال يأتي من المؤخِّرة.

مدير الأعمال: الطبيب، والمعلم.

كلير تساخاناسيان: فليَدْخُلا.

(الطبيب والمعلم يظهران، يتحسسان طريقهما عَبْر الظلام، يجدان في النهاية صاحبة المليارات، ينحنيان. الاثنان الآن يرتديان ملابس برجوازية جيدة، مناسبة، بل تبدو عليهما الأناقة.)

الاثنان: أيتها السيدة الكريمة.

(كلير تساخاناسيان تتأملهما من خلال نظارتها.)

كلير تساخاناسيان: عليكما غبار، سادتي.

(الاثنان يمسحان الغبار.)

المعلم: سامحينا، اضطررنا لتسَلُّق عربة حنطور قديمة.

كلير تساخاناسيان: اعتكفتُ في شونة بيتر؛ لأني محتاجة للراحة؛ القران الذي أُقيم في كنيسة جوللين منذ قليل أتعبني، على أيَّة حال لم أعد في ريعان الصِّبا، اجلِسا على الدَّن.

المعلم: شكرًا.

(يجلس. الطبيب يظل واقفًا.)

كلير تساخاناسيان: الجو مكتوم هنا، خانق، ولكني أحب هذه الشونة، رائحة الدريس والقش وشحم العربات، ذكريات، كل هذه الأدوات، شوكة الروث، عربة الحنطور، عربة الدريس المكسرة كلها كانت هنا أيام صباي.

المعلم: مكان للتأمل.

(يمسح عرقه.)

كلير تساخاناسيان: كانت عظة القس مما يرفع الروح المعنوية.

المعلم: رسالة كورنثة الأولى، فقرة ١٣.

كلير تساخاناسيان: وأنت أيضًا قد قمتَ بدورك في مهارة مع الفرقة المختلطة يا سيدي المعلم، كان للإنشاد دَوِي احتفالي.

المعلم: باخ.[1] من الآلام رواية متى، ما زلتُ مأخوذًا للآن. كانت هناك دنيا الأرستقراطية، ودنيا المال، ودنيا السينما.

كلير تساخاناسيان: كل هذه الدنى سارعت في عرباتها الكاديلاك إلى العاصمة لوليمة العرس.

المعلم: أيتها السيدة الكريمة، لسنا نريد أن نأخذ من وقتك الثمين أكثر من اللازم، لا بد أنَّ قرينك ينتظرك بفروغ الصبر.

كلير تساخاناسيان: هوبي؟ لقد أعدْتُه في عربته البورشة إلى جايزلجاشتايج.

الطبيب (مضطربًا): إلى جايزلجاشتايج؟

كلير تساخاناسيان: محامِيَّ قدَّموا طلبًا بالطلاق.

المعلم: أيتها السيدة الكريمة؟

كلير تساخاناسيان: متعودون على ذلك؛ إنَّها زيجة تُعتبر بالقياس إلى زيجاتي الأخرى في المرتبة الثانية من القِصَر، فزواجي من اللورد إسماعيل استمر وقتًا أقصر من ذلك، ماذا أتى بكما إليَّ؟

---

[1] يوهان زبستيان باخ (١٦٨٥–١٧٥٠م) موسيقِي ألمانيا الأشهر، ورَب الموسيقى في كل زمان ومكان. (المترجم)

المعلم: أتينا إليكِ في شأن السيد إل.

كلير تساخاناسيان: أوه! هل مات؟

المعلم: أيتها السيدة الكريمة، لنا على أيَّة حال مبادئنا الغربية.[٢]

كلير تساخاناسيان: وماذا تريدون؟

المعلم: لقد اشترى أهل جوللين، بكل أسف أشياء مختلفة.

الطبيب: كثيرة نوعًا ما.

(الاثنان يمسحان عرقهما.)

كلير تساخاناسيان: لعلهم استدانوا؟

المعلم: بلا أمل في السداد.

كلير تساخاناسيان: بالرغم من المبادئ؟!

المعلم: لسنا إلا بشرًا.

الطبيب: وعلينا أن ندفع الآن ديوننا.

كلير تساخاناسيان: إنَّكم تعرفون ما عليكم أن تفعلوه.

المعلم (بشجاعة)**:** يا سيدة تساخاناسيان، لنتكلم معًا بصراحة، ضعي نفسكِ في موقفنا المؤلم، منذ عشرين سنة وأنا أغرس في هذا المجتمع الذي أَخْنَى عليه الفقر بذور الإنسانية الرقيقة، وكان طبيب البلدة ينطلق لعيادة المصْدورِين والمصابِين بالكُسَاح في عربته المرسيدس القديمة، فلِمَ كانت تلك التضحيات الأليمة؟ من أجل المال؟ طبعًا لا، إلا أن يكون أقل ما يعيش به إنسان، ومكسبنا ضئيل. وأنا رفضت رفضًا تامًّا عرضًا للعمل في المدرسة الثانوية الرئيسية في كالبرشتات، ورفض الطبيب عرضًا للتدريس في جامعة إرلانجن، هل كان هذا من أجل حُب خالص للإنسانية؟ لو قلنا ذلك لكان من قَبيل المبالغة، لقد تجلَّدنا كل تلك الأعوام الطويلة التي لا نهاية لها، وتجلَّدتْ معنا البلدة كلها؛ لأنَّه كان هناك أمل، أمل بأن تعود جوللين إلى عظمتها مرة أخرى، وأنتِ تَعرفِين الإمكانيات التي تُكِنُّها أرض الوطن بكميات وفيرة؛ فالبترول موجود تحت منخفض بوكينريد، وخام الحديد تحت غابة كونراد سفايل. إننا لسنا فقراء، إنَّنا إنما نحتاج إلى قَرْض وثقة، وأوامر

[٢] المقصود هم البلاد الغربية. (المترجم)

توريد؛ لكي يزدهر اقتصادنا وتزدهر ثقافتنا، فجوللين تستطيع أن تقدم شيئًا ما؛ ألا وهو ساحة الكوخ المشمس.

الطبيب: ومصانع بوكمان.

المعلم: ومصانع فاجنر، اشتريها، دَعِّميها، وبذلك تزدهر جوللين، يكفي أن تَدْفَعي مائة مليون، في صفقة رابحة، ولن يكون عليك أن تُبدِّدي مليارًا.

كلير تساخاناسيان: عندي ملياران آخران.

المعلم: لا تَدَعِي صَبْرنا الطويل يضيع هباء، إننا لا نرجو صدقة، ولكنَّا نَعرِض عليكِ عملًا مُربِحًا.

كلير تساخاناسيان: فعلًا، لا بأس به كعمل.

المعلم: أيتها السيدة الكريمة، كنتُ أعلم أنكِ لن تتركينا في ورطتنا.

كلير تساخاناسيان: لكن التنفيذ غير ممكن؛ لا أستطيع شراء ساحة الكوخ المشمس؛ لأنَّها مِلكي.

المعلم: ملكك؟

الطبيب: وبوكمان؟

المعلم: ومصانع فاجنر؟

كلير تساخاناسيان: كلها ملكي أيضًا؛ المصانع، منخفَض بوكينريد، شونة بيتر، البلدة كلها، شارعًا شارعًا، بيتًا بيتًا، لقد أمرْتُ عملائي بأن يشتروا هذه الخرائب وأن يُوقِفوا الأعمال السائرة. أمَلُكم كان جنونًا، صَبْركم كان سُخفًا، تضحيتكم كانت حُمقًا، لقد أضعتم حياتكم هباءً.

(سكون.)

الطبيب: لكن هذا فظيع.

كلير تساخاناسيان: في ذلك الحين كان الوقت شتاء، عندما تركتُ هذه البلدة، وكنتُ في زِي بحَّار بضفائر حمراء، حاملًا في الأيام الأخيرة، فَضحك مني نَفَر من أهل البلدة ساخِرين، وجلستُ أرتعد من البرد في القطار السريع المسافر إلى هامبورج، فما إن تَهاوتْ ملامح شونة بيتر كما لو كان يَحجبُها لوح زجاج عليه رَذاذ جليد مُتجمِّد، حتى قرَّرتُ أن أعود إليها مرة فيما بعد. وها أنا ذي، الآن أنا التي أَفرض الشَّرْط، أُمْلي ما يُعمَل. (بصوت عالٍ) روبي، توبي، إلى الرسول الذهبي؛ الزوج رقم تسعة أتى بكتبه ومخطوطاته.

(العملاقان الشائهان يأتيان من المؤخِّرة ويرفعان الهودج إلى أعلى.)

المعلم: يا سيدة تساخاناسيان، إنَّك امرأة مُحِبة مَكلومة، أنتِ تَطلُبين العدالة المطْلَقة، إنَّك تَلوحِين لي كبطلة من أبطال العصور القديمة، كميديا.[٣] ولكنكِ في أعماقك تُقدِّرين، وهذا يشجعنا على أن نطلب منك المزيد؛ تخلِّي عن فكرة الانتقام الفظيعة، لا تدفعي بنا إلى أحمق حماقة، ساعِدي أناسًا فقراء ضعفاء مُستقيمِين على أن يحيوا حياة أكرم، غالِبِي نفسكِ من أجل الإنسانية الخالصة.

كلير تساخاناسيان: الإنسانية، يا سادتي، خُلقَت لخزائن أصحاب الملايين، إنَّ من يملك إمكانياتي المالية يستطيع أن يضع للدنيا نظامًا خاصًّا به. لقد جعلَتْ مِني الدنيا عاهرة، فلأجْعَلَن منها دارًا للفجور، من لا يستطيع أن يَدفَع فعليه أن يُحكِم التشبُّث إن أراد ألَّا يسقط، وأنتم تريدون ألا تسقطوا، ومن يدفع هو الذي ينال الاحترام، وأنا أدفع، وتستطيع جوللين الحصول على انتفاضة اقتصادية مُقابِل قَتْل، مُقابِل جثة واحدة، انصَرِفا.

(تُحمَل إلى الخلف.)

الطبيب: رَبَّاه، ماذا نعمل؟
المعلم: ما يُملِيه علينا ضميرنا، يا دكتور نوسلين.

(في المقدمة من ناحية اليمين يظهر محل إل. لافتة جديدة. منضدة محل تجاري جديد بَرَّاقة، خزانة جديدة. بضائع أرفع قيمة. عندما يَمُر أحد خلال الباب الوهْمِي يدق جرس بديع. وراء منضدة المحل زوجة إل. من ناحية اليسار يأتي الأول في صورة جَزَّار مُحْدِث نعمة، بعض نُقط دم على المريلة الجديدة.)

الأول: لقد كان عيدًا. وقفت جوللين عن بكرة أبيها في ميدان الكنيسة تتفرج.
زوجة إل: كليرشن هي السعادة الممنوحة لنا بعد طول البؤس.
الأول: ممثلات السينما كوصيفات الشَّرَف. لهن مثل هذه النهود.

---

[٣] بنت الملك أييتس ملك كولخيس، وكانت عالِمَة بالسِّحر، فَرَّت مع ياسون زعيم بَحَّارة أرجون وعاونَتْه بِفنِّها في مصارعته للثيران التي تَنفُث النار، وتمكَّنَت من تنويم التنين الهائل حارس الفِرَاء الذهبي، حتى حصل ياسون عليه، وتَزوَّجَت ياسون. كذلك أرجعَتْ أبا ياسون إلى صباه، لكن زوجها ما لبث أن خانها فانتقمَتْ منه بقتل أولادها. هذه الأسطورة اليونانية عالجَها الأدباء مرارًا، نَذكُر من هؤلاء الأدباء: أويريبيدس، سينيقا، كورتي، وجريلبارتسر. (المترجم)

زوجة إل: موضة هذه الأيام.

الأول: صحفيون، سيَمُرون من هنا أيضًا.

زوجة إل: نحن أناس عاديون، يا سيد هوفباور، ولا يمكن أن نكون موضع اهتمامهم.

الأول: إنَّهم يسألون الجميع. سجاير.

زوجة إل: مِنَ الخضراء؟

الأول: كاميل، وساريدون، سنحضر الاحتفال الليلة عند أسرة شتوكر.

زوجة إل: أكتُبُها على الحساب؟

الأول: على الحساب.

زوجة إل: كيف حال العمل في محلك؟

الأول: سائر؟

زوجة إل: لا وجه للشكوى.

الأول: عينتم عمالًا؟

زوجة إل: سنُعيِّن عاملًا أول الشهر.

(الآنسة لويزة تمر مرتدية ملابس أنيقة.)

الأول: إنَّها تخدع نفسها خداعًا لطيفًا؛ إذ ترتدي هذه الملابس، لا بد أنَّها تعتقد أننا سنقتل إل.

زوجة إل: عديمة الحياء.

الأول: أين هو؟ لم أرَه منذ وقت طويل.

زوجة إل: فوق.

(الأول يُشعل سيجارة، ويُنصِت مُرهِفًا سَمْعه إلى أعلى.)

الأول: صوت خُطًى.

زوجة إل: يَلُف ويدور في الحجرة، منذ أيام.

الأول (ضمير مُعذَّب)**:** ساء ما فعَلَه بالسيدة تساخاناسيان المسكينة!

زوجة إل: أنا أتألم لذلك أيضًا.

الأول: أن يُلْقي الإنسان ببنت في أحضان البؤس، أُف من الشيطان. (مصممًا) يا سيدة إل، أرجو ألَّا يثرثر زوجك عندما يأتي الصحفيون.

زوجة إل: كلا.

الأول: كطبعه.

زوجة إل: إنني أَلْقَى الصِّعاب، يا سيد هوفباور.

الأول: إن أراد أن يُشنِّع على كلارا، أو يحكي عنها الأكاذيب أو أنَّها خَصَّصت جائزة لمن يقتله، وكان ذلك تعبيرًا عن ألم خفي، فسيكون علينا أن نتدخل، لا من أجل المليار (يبصق)، وإنما من أجل غضب الشعب. إنَّ السيدة تساخاناسيان الصالحة، يعلم الله أنَّها قد قاست بسببه بما فيه الكفاية (يلتفت حوله) هل طريق الصعود إلى المسكن من هنا؟

زوجة إل: الطريق الوحيد للصعود، طريق غير عملي، لكننا سنعدل البناء في الربيع القادم.

الأول: أريد أن أقف هنا، الأمان أمان.

(الأول يقف في أقصى اليمين عاقِدًا ذراعيه معًا، هادئًا، كأنَّه حارس. المعلم يُقْبِل.)

المعلم: إل؟

الأول: فوق.

المعلم: الحقيقة أنَّ ذلك ليس من طبعي، ولكني محتاج إلى مشروب كحولي قوي.

زوجة إل: جميل منك أن تزورنا مَرَّة، يا سيادة المعلم، عندي شتاينهيجر[٤] جديد، هل تريد أن تجربه؟

المعلم: كأسًا صغيرة.

زوجة إل: وأنت أيضًا، يا سيد هوفباور؟

الأول: شكرًا؛ عليَّ أن أذهب بسيارتي الفولكس فاجن إلى كافيجن.[٥] سأشتري خنازير صغيرة.

(زوجة إل تَصب خمرًا، المعلم يشرب.)

زوجة إل: إنَّك ترتعد، يا سيادة المعلم.

المعلم: إني أُكثر من الشراب في الأيام الأخيرة.

---

[٤] من أنواع الخمور المشهورة. (المترجم)

[٥] يحظر القانون على من يسوق سيارة أن يحتسي خمرًا؛ لذلك رفض هوفباور أن يشرب. (المترجم)

زوجة إل: كأس صغيرة أخرى لن تضرك.
المعلم: إنَّه يلف ويدور.
(يُنصِت مُوجِّهًا سَمْعه إلى أعلى.)

زوجة إل: يلف ويدور على الدوام.
الأول: عاقَبَه الله.

(المصوِّر يأتي من ناحية اليسار يحمل لوحة تحت ذراعه، يرتدي بدلة من قطيفة مانشستر جديدة،[٦] شالًا مُلوَّنًا، بيريه أسود)

المصور: انتبِهوا فقد سألَنا صحفيان عن هذا المحل.
الأول: في ذلك شبهة.
المصوِّر: تظاهرتُ بأني لا أعرف شيئًا.
الأول: حاذق.
المصور: هذه لكِ يا سيدة إل، رفعتُها لِتوِّي من المرسم، لم تَجِف بعد.
(يعرض الصورة، المعلم يَصُب بنفسه خمرًا في كأسه.)

زوجة إل: زوجي.
المصور: بدأ الفن يزدهر في جوللين، تصوير؛ أي تصوير؟
زوجة إل: وتُشبِهُه.
المصور: بالزيت، تبقى إلى الأبد.
زوجة إل: من الممكن أن أُعلِّق الصورة في حجرة النوم، فوق السرير. فألفريد يزداد شيخوخة، ولا يعرف المرء ما يُمكِن أن يحدث، ويَسرُّه أن تكون لديه ذكرى.

(في الخارج تمر المرأتان اللتان ظهرَتَا في الفصل الثاني، تلبسان ملابس أنيقة وتتأملان البضائع المعروضة في نافذة العرض المخطَّطَة الملامح.)

الأول: هاتان المرأتان تذهبان إلى السينما في وضح النهار، وتتصرَّفان حِيالَنا كما لو كنَّا من أعتى القَتَلة.
زوجة إل: الثمن؟

[٦] المانشستر نوع من القطيفة يُستعمَل في صناعة الحُلل الرياضية. (المترجم)

المصور: ثلاثمائة.
زوجة إل: لا أستطيع الدفع الآن.
المصور: لا يهم، سأنتظر يا سيدة إل، سأنتظر مرتاح البال.
المعلم: الخُطى، الخُطى دائمًا.

(من ناحية اليسار يأتي الثاني.)

الثاني: الصحافة.
الأول: يجب أن نتكاتف في الموت والحياة.
المصور: يجب أن ننتَبِه حتى لا ينزل إلى هنا.
الأول: اتخذت الاحتياطات اللازمة لذلك.

(أهل جوللين يقفون ناحية اليمين. المدرس شرب نصف زجاجة الخمر، وظل واقفًا أمام منضدة المحل. اثنان من رجال الصحافة يأتيان، ومعهما جهازان للتصوير.)

الصحفي ١: مساء الخير، أيها الناس.
أهل جوللين: سلام عليك.
الصحفي ١: سؤال رقم واحد: ما هي مشاعركم، بصفة عامة؟
الأول (مضطربًا)**:** نحن — طبعًا — مسرورون لزيارة السيدة تساخاناسيان.
المصور: متأثِّرون.
الثاني: فَخُورون.
الصحفي ١: فَخُورون.
الصحفي ٢: سؤال رقم اثنين إلى السيدة خلف منضدة المحل: يقولون إنَّك فُضِّلت على السيدة كلير تساخاناسيان.

(سكون. يظهر على أهل جوللين الفزع.)

زوجة إل: من الذي قال هذا؟

(صمت. الصحفيان يكتبان بلا اكتراث في دفاترهما.)

الصحفي ١: الشخصان القصيران السمينان الأعميان مع السيدة تساخاناسيان.

(سكون.)

زوجة إل (مُتردِّدة)**:** ماذا حكى هذان الشخصان؟
الصحفي ٢: كل شيء.
المصور: يا للعنة.

(سكون.)

الصحفي ١: إنَّ كلير تساخاناسيان وصاحِب المحل أوشَكا على الزواج قبل أكثر من أربعين سنة، صحيح؟

(سكون.)

زوجة إل: صحيح.
الصحفي ٢: هل السيد إل موجود؟
زوجة إل: في كالبرشتات.
الجميع: في كالبرشتات.
الصحفي ١: يُمكنُنا أن نَتصوَّر الحكاية الغرامية، السيد إل وكلير تساخاناسيان يشبَّان معًا، وربما كانا جارَين، يذهبان معًا إلى المدرسة، نزهات في الغابة، القُبُلات الأولى أخوية، حتى يَتعرَّف عليكِ السيد إل، أيتها السيدة الطيبة، فيرى فيكِ الجديد، غير المألوف؛ الغرام.
زوجة إل: الغرام. حدثَت الحكاية تمامًا كما تَذكُر.
الصحفي ١: نباهة، يا سيدة إل. كلير تساخاناسيان تعلَم بالأمر، تنسحب بطريقتها الهادئة الكريمة، وأنتِ تَتزوَّجين.
زوجة إل: عن حب.
أهل جوللين الآخرون (في ارتياح)**:** عن حب.
الصحفي ١: عن حب.

(من ناحية اليمين يأتي الخَصيَّان، يجرهما روبي من أذنيهما.)

الاثنان (مُوَلوِلَيْن)**:** لا نريد أن نحكي أكثر من هذا، لا نريد أن نحكي أكثر من هذا.

(يُساقان إلى المؤخِّرة حيث ينتظرُهما توبي بسوط.)

الصحفي ٢: وزوجُك، يا سيدة إل، ألم يُحسَّ من حين إلى حين؟ أعني، لو أحس لكان ذلك أمرًا إنسانيًّا، ألم يحسَّ بين الفَينة والأخرى بالندم؟

زوجة إل: المال وحده لا يجعل الإنسان سعيدًا.

الصحفي ٢: لا يجعل الإنسان سعيدًا؟!

الصحفي ١: حقيقة لا نستطيع نحن أهل العصر الحديث أن نُقدِّرها حق قدرها.

(الابن يأتي من ناحية اليسار، عليه جاكتة من الجلد البَرِّي.)

إل: ابننا كارل.

الصحفي ١: شاب يافع.

الصحفي ٢: هل يعرف أَمْر العلاقة؟

زوجة إل: إنَّنا لا نعرف في أُسرَتنا أسرارًا، نقول دائمًا: ما يعرفه الله، يجب أن يعرفه أبناؤنا.

الصحفي ١: الأبناء يعرفون.

(الابنة تدخل المحل ترتدي ملابس التنس وتمسك المضرب في يدها.)

زوجة إل: ابنتنا أوتيليه.

الصحفي ٢: ساحرة.

(وهنا يهب المعلم.)

المعلم: أهل جوللين، أنا مُعلِّمكم العجوز، شربتُ خمري الاشتاينهيجر في صَمْت، وسَكتُّ على كل ذلك، ولكني الآن أريد أن ألقي خطبة، وأحكي عن زيارة السيدة العجوز لجوللين.

(يرتقي الدَّن الصغير الذي ما زال باقيًا من شونة بيتر.)

الأول: أتراه قد جُن؟

الثاني: اسكت.

المعلم: يا أهل جوللين، سأُعلن عليكم الحقيقة حتى لو بقينا فقراء إلى الأبد.

زوجة إل: أنتَ ثَمِل يا سيادة المعلم، أَحْرى بك أن تخجل.

المعلم: أخجل؟ بل الأَحْرى بكِ أن تخجَلي يا امرأة؛ لأنكِ تَقومين بخيانة زوجك.

الابن: اخرس.

الأول: أَنزِلوه.

الثاني: أَخرِجوه.

المعلم: لقد اتَّسع نطاق الكارثة اتساعًا مؤسفًا.

الابنة (مُتوسِّلة)**:** يا سيادة المعلم.

المعلم: إنكِ تُخيِّبين أمَلي أيتها الابنة الصغيرة، كان المفروض أن تتكلَّمي أنتِ، والآن يُضطر معلم عجوز إلى الكلام بصوت هادر.

(المصور يضربه بالصورة على رأسه.)

المصور: هه؟ أتريد أن تسلبني أعمالي؟

المعلم: أنا أحْتَج أمام الرأي العام العالمي؛ هناك أشياء فظيعة تُدبَّر في جوللين.

(أهل جوللين يَنقَضُّون عليه، وفي هذه اللحظة يُقْبِل إل من ناحية اليمين في رداء قديم مَهلهَل.)

إل: ما هذا الذي يجري في محلي؟

(أهل جوللين يتركون المعلم ويُحملِقون في إل مفزوعين. سكون مطبق.)

إل: ماذا تريد بوقوفك على الدن، يا معلم؟

(يبتسم لإل في سعادة وارتياح.)

المعلم: الحقيقة، يا إل، إني أروي الحقيقة لرجال الصحافة، أرويها بصوت هادر، وكما لو كنتُ ملاكًا كريمًا (يترنح) لأني من المختصِّين في الإنسانيات،[٧] صديق للإغريق القُدَامى، مُعجَب بأفلاطون.

إل: اسكت.

[٧] أي الدراسات الإنسانية. (المترجم)

المعلم: هه؟

إل: انزل.

المعلم: والإنسانية؟

إل: اجلس.

(صمت.)

المعلم (وقد أفاق)**:** أجلس؟ على الإنسانية أن تجلس، هكذا، ولو خنت الحقيقة أنت أيضًا.

(ينزل من فوق الدن ويجلس وما زالت الصورة تُغطي رأسه.)

إل: لا مؤاخذة؛ الرجل سكران.

الصحفي ٢: السيد إل؟

إل: ماذا تريد مني؟

الصحفي ١: أخيرًا، يُسعدنا أن نَلْقاك الآن، نحن في حاجة إلى بعض اللقطات، تسمح؟

(ينظر حوله.)

الصحفي ١: أطعمة، لوازم المنازل، حدايد. نعم، لنلتقط صورتك وأنت تبيع بَلْطة.

إل (مترددًا)**:** بلطة؟

الصحفي ١ (للجزار)**:** الشيء الطبيعي هو الذي يبعث التأثير، هات آلة القتل، زبونك يأخذ البلطة، يزنها في يده، يُعبِّر وجهه عن الاستغراق في التفكير، وأنت تنحني فوق منضدة المحل، تحاول أن تُقنِعه. من فضلك.

(يُنظِّم اللقطة.)

الصحفي ١: أكثر طبيعية، يا سادة، أكثر بُعدًا عن التكلُّف.

(الصحفيان يلتقطان.)

الصحفي ١: جميل! جميل جدًّا!

الصحفى ٢: هل تَتكرَّم فَتضَع ذراعك حول كتِفَي قرينتك؟ الابن إلى اليسار، البنت ناحية اليمين. والآن تهلَّلوا سعادة، تهلَّلوا، تهلَّلوا، رضاء قلبيًّا، تهلَّلوا سرورًا مطمئِنًّا.

الصحفي ١: تهلُّل رائع.

(من ناحية اليسار من الأمام يجري بعض المصوِّرين على المسرح إلى الخلف. أحدهم يُصبِح داخل المحل.)

المصور الفوتوغرافي: تساخاناسيان تَتخِذ رجلًا جديدًا، هُما يَتنزَّهان الآن في غابة كونراد سفايل.

الصحفى ٢: رجلًا جديدًا؟

الصحفي ١: هذا يصلح صورة غلاف لمجلة «لايف».[8]

(الصحفيان يهرولان خارِجَين من المحل. صمت. الأول ما زال يمسك بالبلطة.)

الأول (مرتاحًا)**:** حصل خير.

المصور: سامحنا يا معلم، إن كنا نريد أن نُسوي المسألة وديًّا، فما كان يصح أن تعرف الصحافة شيئًا، فهمت؟

(يخرج. الثاني يتبعه، لكنه يظل واقفًا أمام إل.)

الثاني: حاذق، حاذق جدًّا، أن تمسك عن اللغو؛ فالناس لن يُصدِّقوا كلمة واحدة يقولها صغير مثلك.

(يخرج.)

الأول: والآن سوف نظهر في المجلات، يا إل.

إل: نعم.

الأول: وسنصبح من المشهورِين.

إل: أو نحو ذلك.

الأول: واحدة «بارتاجاس».

إل: تفضَّل.

---

[8] مجلة أمريكية مُصوَّرة، واسعة الانتشار. (المترجم)

الأول: على الحساب؟
إل: طبعًا.
الأول (بصراحة)**:** إنَّ ما فعلْتَه بكليرشن لا يأتي به إلا نذل.

(يهم بالانصراف.)

إل: البلطة، يا هوفباور.

(الأول يتردد، يعيد إليه البلطة. صَمْت في المحل. ما زال المعلم يجلس على الدَّن.)

المعلم: لا تؤاخِذْني؛ لقد تذوقْتُ بعض كئوس «شتاينهيجر»، كأسين أو ثلاث كئوس.
إل: تمامًا.

(الأُسْرة تنصرف من ناحية اليمين.)

المعلم: كنت أريد مساعدتك، ولكنهم أنزَلوني، وأنت كذلك لم تشأ أن أفعل .. (يتخلَّص من الصورة) آه، يا إل! أيُّ بشر نحن؟ المليار الفاضح يتأجج في قلوبنا. جَمِّع قُواك، صارِع في سبيل حياتك، اتَّصِل بالصحافة، لم يَعُد لديك وقت تُضيعه.
إل: لن أصارعَ بعد الآن.
المعلم (مندهشًا)**:** قل، هل يا تُرَى فقدْتَ عقلك تمامًا من الخوف؟
إل: رأيتُ أنَّه لم يَعُد لي حق.
المعلم: لم يَعُد لك حق؟ حيال هذه العجوز الملعونة، هذه العاهرة الأثيمة التي تُبدِّل رجالها أمام أعيننا بلا حياء، التي تستولي على أرواحنا؟
إل: أنا الذي أحمل هذا الذنب في نهاية المطاف.
المعلم: الذنب؟
إل: لقد صيَّرتُ كلارا إلى ما هي عليه، وصيَّرت نفسي إلى ما أنا عليه، تاجر قذر مُلتوٍ، ماذا أفعل يا معلم جوللين؟ أمثل دَور البريء؟ كل ما حدث كان من جَرَّاء فِعلي، الخَصِيَّان، مدير الأعمال، النعش، المليار. لم يَعُد في إمكاني مساعدة نفسي، ولا مساعدتكم أنتم أيضًا.

(يتناول الصورة الممزقة ويتأمَّلُها.)

إل: صورتي.

المعلم: زوجتك كانت تريد أن تُعلِّقها في حجرة النوم، فوق السرير.
إل: سيُعيد «كون» تصويرها.

(يضع الصورة على منضدة المحل. المعلم ينهض في مَشقة، وهو يَترنَّح.)

المعلم: لقد أفقت فجأةً.

(يَتَّجه مُترنِّحًا إلى إل.)

المعلم: صدقتَ، تمامًا، أنت المذنِب في كل ذلك. والآن أريد أن أقول لك شيئًا يا إل، شيئًا أساسيًّا.

(يظل واقفًا مستقيمًا أمام إل، ولا يَترنَّح إلا ترنحًا بسيطًا.)

المعلم: سوف يَقتلك أحدهم، أعرف ذلك من أول الأمر، وأنت أيضًا تعرف ذلك منذ وقت طويل، حتى ولو لم يَشأ فرد آخر في جوللين أن يصدق ذلك. الإغراء كبير كِبَرًا مفرطًا، والفقر مرير مرارة مُفرِطة. ولكني أعرف أكثر من ذلك، أنا أيضًا سأشترك فيما سيحدث، إنني أحس كيف أتحوَّل ببطءٍ إلى قاتل. إيماني بالإنسانية قد ضَعُف وأصبحتُ سكِّيرًا؛ لأني أعرف هذا. أنا خائف يا إل! كما كنتَ أنت خائفًا، وأعرف أيضًا أنَّ سيدة عجوزًا سوف تأتي إلينا يومًا، وسيجري لنا ما يجري لك الآن، ولكني بعد برهة، ربما بعد ساعات، لن أعود أعرف شيئًا من ذلك. (صمت) زجاجة «شتاينهيجر» أخرى.

(إل يقدِّم إليه الزجاجة، المعلم يتردَّد، ثم يأخذ الزجاجة في تصميم.)

المعلم: اكتُبْها على الحساب.

(ينصرف على مهل.)

(الأسرة تعود. إل يتلَفَّت حوله في المحل كأنَّه يحلم.)

إل: كل شيء جديد، كم يبدو كل شيء عندنا حديثًا، نظيفًا، مشهيًا! كنتُ أحلم بمثل هذا المحل.

(يأخذ المضرب من يد ابنته.)

إل: تلعبين التنس؟
الابنة: تلقيتُ بضعة دروس.
إل: في الصباح الباكر، أليس كذلك؟ بدلًا من الذهاب إلى مكتب العمل؟
الابنة: كل صديقاتي يلعبن التنس.

(صمت.)

إل: رأيتُك في سيارة يا كارل، من نافذة الحجرة.
الابن: مجرد سيارة أوبل أوليمبيا ليست غالية الثمن.
إل: ومتى تعلمتَ القيادة؟

(صمت.)

إل: بدلًا من البحث عن عمل عند المحطة تحت الشمس الحارقة؟
الابن: أحيانًا.

(الابن يحمل وهو في حالة ارتباك؛ الدَّن الصغير الذي كان السِّكِّير يجلس عليه ويُخْرِجه من ناحية اليمين.)

إل: كنتُ أبحث عن الثوب الذي ألبسه أيام الأحد فوجدتُ معطفًا من الفراء.
زوجة إل: للفرجة.

(صمت.)

زوجة إل: الجميع يستدينون يا فريدي، إنَّك تَهذي لا أكثر ولا أقل، خوفك أمْر مضحك، ولا شيء غير ذلك. واضح أنَّ الأمر سيُسوَّى وديًّا دون أن تُمَس شعرة منك بما يَثْنِيها، لن تَتمسَّك كليرشن تمسُّكًا تامًّا، أنا أعرفها، إنَّ طِيبة قلبها الجمة تَحُول دون ذلك.
الابنة: فعلًا، يا أبي.
الابن: لا بد أن تفهم ذلك

(صمت.)

إل (ببطء): اليوم يوم السبت، أريد أن أركب في عربتك يا كارل، مرة واحدة (في عربتنا).
الابن (غير مصدق): تريد؟

إل: ارتَدُوا ملابسكم الجميلة؛ نريد أن نستقل العربة معًا.
زوجة إل (غير مصدقة)**:** وأنا أيضًا أركب معكم؟ هذا لا يصح.
إل: ولِمَ لا يصح؟ البسي معطفك الفرائي، وافتتحِي الاستمتاع به في هذه المناسَبة، وحتى تَفرغوا من لبسكم سأكون قد أغلقْتُ الخزانة.

(السيدة والابنة تنصرفان من ناحية اليمين، والابن من ناحية اليسار، إل يشتغل بإغلاقه الخزانة. من ناحية اليسار يأتي العمدة ومعه السلاح.)

العمدة: مساء الخير، يا إل، ولا تتوقف عمَّا تعمل بسببي، جئت أزورك زيارة عابرة.
إل: تفضل.

(صمت.)

العمدة: لقد أحضرتُ سلاحًا.
إل: شكرًا.
العمدة: إنَّه مشحون.
إل: لا حاجة لي بذلك.

(العمدة يُسند السلاح إلى منضدة المحل.)

العمدة: مساء اليوم سيجتمع مجلس البلدة في الرسول الذهبي، في قاعة المسرح.
إل: سآتي.
العمدة: الجميع سيأتون، سنعالج مسألَتَك، إنَّنا في موقف حرج.
إل: هذا ما أراه أنا أيضًا.
العمدة: سيرفضون العرض.
إل: ممكن.
العمدة: طبعًا قد يُخطئ الإنسان.
إل: طبعًا.

(صمت.)

العمدة (في حذر)**:** أفي هذه الحالة يا تُرَى تقبل الحكم، يا إل؟ فإنَّ الصحافة ستكون حاضرة.

إل: الصحافة؟

العمدة: وكذلك الإذاعة، التلفزيون، الجريدة السينمائية، موقف عصيب، ليس بالنسبة إليك فحسْب، بل بالنسبة إلينا كذلك، صدِّقْني، لقد أصبَحْنا مشهورِين شُهرة موطِن السيدة، وبفضل قرانها الذي عُقد في كنيستنا، حتى إنَّه قد تَقرَّر أن يُعمَل تحقيق صحفي عن نُظمِنا الديمقراطية القديمة.

(إل مشغول بالخزانة.)

إل: هل ستعلنون عَرْض السيدة على الملأ؟

العمدة: بطريقة غير مباشرة، أولو الألباب وحْدَهم هم الذين سيفهمون معنى المداوَلة.

إل: إنَّ الأمر يدور حول حياتي.

(صمت.)

العمدة: سأوجِّه الصحافة إلى أنَّه من المحتَمَل أن تُقيم السيدة تساخاناسيان مَبرَّة، وإلى أنَّك توسطْتَ في إقامة المبرة بوصفك صديق صِباها، أَمَّا أنَّك كنتَ صديق صباها فأمْر أصبح الآن كما تعلم معروفًا، وبهذا تكون من الناحية الظاهرية قد تَطهَّرْت مِمَّا حدث.

إل: هذا جميل منك.

العمدة: لم أفعل ذلك من أجْلِك، وإنما من أجْل أسرتك الجادَّة المستقيمة، أقولها بصراحة.

إل: فاهم.

العمدة: إنَّنا نلعب لعبة نظيفة، لا بد أن تعترف بهذا، لقد لُذتَ بالصمت حتى الآن، حسنًا. ولكن هل ستستمر في التزام الصمت؟ إن كنتَ تريد الكلام فعلينا أن نحسم الأمر دون اجتماع مجلس البلدة.

إل: فهمتُ.

العمدة: هه؟

إل: يسعدني أن أسمع تهديدًا صريحًا.

العمدة: لستُ أهددك يا إل، أنت الذي تُهدِّدنا، إذا تكلَّمتَ، كان علينا نحن أيضًا أن نفعل شيئًا قبل ذلك.

إل: سألوذُ بالصمت.

العمدة: مهما كان قرار مجلس البلدة؟
إل: سأقبله.
العمدة: جميل.

(صمت.)

العمدة: يسرني منك أن تَمْثُل أمام محكمة مجلس البلدة يا إل، فما زال ثمة إحساس بالشرف يومض فيك، ولكن أما كان الأفضل ألَّا نعقد محكمة مجلس البلدة هذه البتة؟
إل: ماذا تهدف من وراء ذلك؟
العمدة: لقد قلت منذ لحظة إنَّك لستَ بحاجة إلى السلاح، ربما كنتَ الآن رغم ذلك في حاجة إليه.

(صمت.)

العمدة: إذن لكان في إمكاننا، في هذه الحالة، أن نقول للسيدة إنَّنا قضَيْنا عليكَ، ولتلقَّينا المال على هذا النحو أيضًا. لقد كلَّفَني تقديم هذا الاقتراح إليك سَهَر الليالي، صدِّقني. والحقيقة أنَّه يُمكن القول: إنَّه من واجبك الآن أن تُنهي حياتك بنفسك، وأن تتحمَّل التَّبِعات كرجل له شرف، ألست ترى ذلك؟ على الأقل مشاركة منك للشعور العام؛ حبًّا في وطنك، إنَّك لا ريب ترى بلاءنا المرير، البؤس، الأطفال الجياع.
إل: حالكم الآن على ما يرام.
العمدة: إل.
إل: يا عمدة، لقد خَبرت الجحيم، رأيتُ كيف تتداينون بالديون، وأحسستُ مع كل بادرة من بوادر الرخاء الذي أصابكم بالموت يدنو مِنِّي رويدًا رويدًا. لو أنَّكم وفَّرْتم عليَّ هذا القلق، هذا الرعب الشديد؛ لتغيَّر مَجرى كل شيء، لأمكننا أن نتحدث حديثًا آخر، لأخذتُ السلاح حبًّا فيكم، لكني حبَستُ نفسي، قهرْتُ خوفي وحْدِي، كان ذلك صعبًا عليَّ، ولكنه حدَث، ليس ثمة مكان للرجوع. عليكم أن تكونوا قُضاتي. أنا سأمتثل لحكمكم مهما كان منطوقه؛ الأمر بالقياس إليَّ أمر العدالة، ولا أعرف ماذا يكون بالقياس إليكم، ساعدكم الله على التَّمسُّك بحكمكم. في مقدوركم أن تقتلوني، لن أشكو، لن أحتج، لن أُدافع عن نفسي، ولكن لا يُمكن أن أقوم بعمل هو عمَلُكم أنتم.

(العمدة يتناول السلاح من جديد.)

العمدة: خسارة؛ إنَّك تُفوِّت على نفسك فرصة التطهر، فرصة أن تُصبح الى حدٍّ ما رجلًا مستقيمًا، ولكن هذا ما لا يُمكن أن يُتوقَّع منك.

إل: نار، يا سيادة العمدة.

(يُشعل له السيجارة. العمدة ينصرف.)

(زوجة إل تأتي مرتدية مِعطفًا من الفِراء، وتأتي الابنة مرتدية ثوبًا أحمر اللون.)

إل: راقَ منظرك يا ماتيلدة.

زوجة إل: «برزيانار».[٩]

إل: كَسيِّدة من المجتمع الراقي.

زوجة إل: غالي الثمن شيئًا ما.

إل: جميل ثوبُك يا أوتيليه، لكن تفصيلته جريئة، ألا ترين ذلك؟

الابنة: آه، دع عنك ذلك يا أبي، عليك أولًا أن ترى ثوب السهرة هذا.

(المحل يختفي. الابن يتقدَّم بالسيارة.)

إل: سيارة جميلة، لقد بذلتُ قصارى جهدي طوال حياتي لأصل إلى ثروة بسيطة، إلى شيء من اليسار، إلى سيارة مثل هذه، والآن وقد تحقَّق هذا، أُحِبُّ أن أعرف إحساس المرء وهو في داخلها. تعالي معي إلى الخلف يا ماتيلدة، وأوتليه تجلس بجوار كارل.

(يركبون السيارة.)

الابن: أستطيع القيادة حتى سرعة مائة وعشرين.

إل: لا تُسْرع على هذا النحو؛ أريد أن أرى المنطقة، البلدة التي عشتُ فيها سبعين عامًا أو زهاءها. نظيفة حواريها القديمة، جُدِّدت فيها أشياء كثيرة. دخان رمادي فوق المداخن، نبات إبرة الراعي أمام النوافذ، أزهار عبَّاد شمس، والورد في الحدائق عند بوابة جوته، ضحكات الأطفال، عُشاق في كل مكان، وهذا المبنى الجديد في ميدان برامس من طراز حديث.

زوجة إل: مقهى هوديل هو الذي يقيمه.

---

[٩] نوع من الفِراء يُتَّخذ بسلخ الحُمْلان الوليدة. (المترجم)

الابنة: الطبيب بعربته المرسيدس ٣٠٠.[١٠]

إل: الهضبة، التَّل خلفها، تبدو اليوم وكأنَّها من ذهب. هائل هذا الظل الذي يغمرنا، وسيبعثه الضوء. كأنَّها في الأفق عمالقة روافع مصانع فاجنر تلك هي ومداخن بوكمان.

الابن: يجري الآن تشغيلها.

إل: هه؟

الابن (بصوت أعلى)**:** يجري تشغيلها.

(يزمر.)

زوجة إل: سيارات غريبة.

الابن: آل مسز شميت، على كل صبي أن يشتري عربة كتلك.

الابنة: سيه تريبل.[١١]

زوجة إل: أوتيليه تتلقَّى دروسًا تكميلية في اللغتين الفرنسية والإنجليزية.

إل: شيء عملي نافع، ساحة الكوخ المشمس، لم نخرج إلى هناك منذ مدة طويلة.

الابن: يُقال إنَّها ستُوسَّع.

إل: لا بد أن تتكلم بصوت أعلى وأنت تسير بهذه السرعة.

الابن (بصوت أعلى)**:** يُقال إنَّها ستُوسَّع. هذا هو شتوكار طبعًا، يتخطَّى الجميع بسيارته البويك.

الابنة: مُحْدِث نعمة.

إل: سِر بنا الآن خلال منخفَض بوكينريد، مُرَّ على المستنقَع، واجْتَز طريق أشجار الحور حول قصر الصيد الصغير الذي بناه الأمير الناخب هاسو. كِسَف مضطربة من السحاب تُغطِّي السماء متراكمة بعضها فوق البعض كحالها في الصيف. أرض جميلة، يغمرها نور المساء، وكأني أراها اليوم لأول مرة.

الابنة: جو كذلك الذي يصوِّره أدالبرت شتيفتر في لوحاته.[١٢]

---

[١٠] رمز العربة الفاخرة في ألمانيا.

[١١] بالفرنسية Cest terrible = شيء فظيع.

[١٢] أدالبرت شتيفتر، أديب ألماني وُلِد عام ١٨٠٥م، وتُوفِّي منتحرًا عام ١٨٦٨م. يُعتبر شتيفتر من أهم الأدباء الألمان، خاصة في ناحية تصوير الطبيعة والتفكير المثالي والصياغة الأسلوبية، من مؤلَّفاته المشهورة، الروايات: «الغابة العظيمة»، «بريجيتا»، «أحجار ملونة» ... إلخ. (المترجم)

إل: مَن؟

زوجة إل: أوتيليه تدرس الأدب أيضًا.

إل: شيء راقٍ.

الابن: هوفباور بسيارته الفولكس فاجن، راجع من كافيجن.

البنت: معه صغار الخنازير.

زوجة إل: كارل يُحسن القيادة، يا لبراعته وهو يقطع المنحنى الآن! ليس للإنسان أن يخاف.

الابن: السرعة الأولى؛ الشارع صاعد.

إل: كان نَفَسي ينقطع دائمًا، عندما كنت أصعد هذا الشارع على قَدمي.

زوجة إل: إني مسرورة؛ لأنَّ لديَّ معطف الفِراء؛ الجو يميل للبرودة.

إل: لقد أخطأتَ الطريق، من هنا سكة بايز نباخ، ارجع الآن ثم اتَّجِه إلى اليسار، وادخل بنا غابة كونراد سفايل.

(السيارة تنطلق نحو المؤخِّرَة. الأربعة يُقبِلون ومعهم المقعد الخشبي، يلبسون الآن فراك،[١٣] يمثلون أشجارًا.)

الأول: مرة ثانية، نحن أشجار الشربين، أشجار الزان.

الثاني: طائر ثَقَّاب الخشب ووقواق، وغزال هيبان.

الثالث: جو ما قبل خلق الدنيا، كثيرًا ما تَغنَّى به المُغَنُّون.

الرابع: والآن ينغصنا زمر السيارات.

(الابن يزمر.)

الابن: غزال آخر، لا يبعد كثيرًا عن الطريق، يا للبهيم.

(الثالث يقفز مبتعدًا.)

الابنة: غير خائف! لم يَعُد الصيد ممنوعًا.

[١٣] الفراك حُلَّة ممتازة للاحتفالات الراقية، تتميز خاصة بسُتْرة طويلة من الخلف، وعادة يُلبس معها قميص أبيض مُنَشًّى، ورباط عنق على شكل الفراشة. (المترجم)

إل: قِف تحت هذه الشجرات.

الابن: حسنًا.

زوجة إل: ماذا تريد إذن؟

إل: أن أسير خلال الغابة (ينزل). جميل صوت أجراس جوللين، إنَّه يصل إلى هنا. ساعة انتهاء العمل.

الابن: أربعة أجراس، الآن بدأ دقُّ الأجراس يصبح مريحًا.

إل: كل شيء أصفر، لقد حلَّ الخريف الصحيح. أوراق الشجر متناثرة على الأرض كأنَّها تِلال من الذَّهب (يطأ الأوراق).

الابن: سننتظر هناك بجانب كوبري جوللين.

إل: لا داعي لذلك؛ سأسير عَبْر الغابة حتى البلدة لحضور اجتماع مجلس البلدة.

زوجة إل: فلنذهب نحن إلى كالبرشتات، يا فريدى، وندخل السينما.

الابن: مع السلامة يا أبي.

الابنة: سو لونج، دادي.[١٤]

زوجة إل: إلى اللقاء، إلى اللقاء.

(السيارة تختفي وبها العائلة، تعود إلى الخلف. العائلة تلوح. إل يتابعها ببصره. يجلس على المقعد الخشبي الموجود ناحية اليسار.)

(حفيف ريح. من ناحية اليمين يأتي روبي وتوبي يحملان الهودج وبه كلير تساخاناسيان ترتدي ثوبها العادي. روبي يحمل قيثارة على ظهره. إلى جانبها يمشي زوجها ٩، حائز على جائزة نوبل، طويل، ممشوق القوام، شعره وشاربه قد وخَطَهما الشيب. من الممكن أيضًا أن يُمثِّل الدور هنا ممثل واحد بعينه. إلى الخلف مدير الأعمال.)

كلير تساخاناسيان: غابة كونراد سفايل، يا روبي وتوبي، توقَّفَا هنا.

(كلير تساخاناسيان تهبط من الهودج، تتأمل الغابة خلال منظارها، تُربِّت على ظهر الأول.)

---

[١٤] تقول وداعًا بالإنجليزية So Long. Dady

كلير تساخاناسيان: سوس؛ الشجرة تموت. (تلحظ إل) ألفريد؟ جميل أن ألقاك، جئتُ أزور غابتي.

إل: هل غابة كونراد سفايل ملكك أيضًا؟

كلير تساخاناسيان: أيضًا، أتسمح أن أجلس معك؟

إل: لقد ودَّعتُ أسرتي منذ قليل، ذهبوا إلى السينما، كارل اشترى له سيارة.

كلير تساخاناسيان: تقدَّم قليلًا.

(تجلس إلى جانب إل من ناحية اليمين.)

إل: أوتيليه تأخذ دروسًا في الأدب، وفوق ذلك تتعلم الإنجليزية والفرنسية.

كلير تساخاناسيان: أرأيت، لقد بدءوا يفهمون المثاليات.[١٥] تعالَ يا تسوبي، انحنِ، زوجي التاسع، حاصل على جائزة نوبل.

إل: تَشرَّفْنا.

كلير تساخاناسيان: عجيب المظهَر جدًّا عندما يَكُف عن التفكير، كُفَّ مرة عن التفكير يا تسوبي.

الزوج ٩: ولكن يا شاتسي.[١٦]

كلير تساخاناسيان: لا تَتدلَّل.

الزوج ٩: لكِ ما تريدين.

(يَكُف عن التفكير.)

كلير تساخاناسيان: أرأيتَ؟ منظره الآن منظر رجل ديبلوماسي، يُذكِّرني بالجراف هولك، إلا أنَّ الآخَر لم يَكُن يكتب كتبًا. يريد أن يعتكف ليُدوِّن مذكرَّاته ويدير أملاكي.

إل: تَهانِيَّ.

---

[١٥] من المفيد مُقارَنة المقابَلة الأولى بين كلير وإل في الغابة بمُقابلَتِهما الأخيرة؛ لملاحظة التطوُّر في شخصية كلير وإل، وحُكْمهما على الأشياء.

[١٦] صيغة المداعبة من لفظة Schatz = كنز. وهي صيغة مُداعَبة شائعة الاستعمال في اللغة الألمانية وفي لغات أوروبية أخرى مثل الإيطالية.

كلير تساخاناسيان: لديَّ إحساس غير طيب، والرجال يُتَّخذُون لأهداف استعراضية، ولا يُتَّخذُون ليكونوا أشياء نافعة. اذهب يا تسوبي واكتشِفْ، الأطلال التاريخية تجدها على اليسار.

(الزوج ٩ يذهب للكشف. إل يتَلفَّت حوله.)

إل: الخصِيَّان؟

كلير تساخاناسيان: شَرعَا يُثرثِران؛ أمرتُ بطردهما إلى هونج كونج، إلى كهف من كهوف الأفيون التي أملكها هناك، هناك يستطيعان أن يُدخِّنا وأن يحَلُمَا، سيتبعُهما قريبًا خادمي الخاص؛ لن أكون بحاجة إليه. واحدة روميو وجوليت، يا بوبي.

(مدير الأعمال يأتي من المؤخِّرَة، يُقدِّم إليها علبة سجائر.)

كلير تساخاناسيان: أتريد واحدة أنت كذلك يا إل؟

إل: بكل سرور.

كلير تساخاناسيان. تَفضَّل. ناولنا نارًا يا بوبي.

(يُدخِّنَان.)

إل: رائحتها طيبة جدًّا.

كلير تساخاناسيان: في هذه الغابة دَخنَّا كثيرًا معًا، أما زلتَ تذكرُ؟ سجاير كنتَ تشتريها من عند ماتيلده، أو كنتَ تسرقها.

(الأول يرن بالمفتاح على الغليون.)

كلير تساخاناسيان: طائر ثَقَّاب الخشب مرة ثانية.

الرابع: كوكوك، كوكوك.

إل: وطائر الوقواق.

كلير تساخاناسيان: أيعزف لكَ روبي شيئًا على قيثارته؟

إل: من فضلكِ.

كلير تساخاناسيان: إنَّه يحسن العزف، ذلك السَّفَّاك المعفو عنه، أحتاج إليه في أوقات تَفكُّري وتدبيري، أكره أجهزة الجراموفون، وأجهزة الراديو.

إل: لحن «في الوادي الصخري الأفريقي تمشي سرية».

كلير تساخاناسيان: لحنك المفضل، علَّمْتُه إيَّاه.

(سكوت. يُدخِّنان. كوكوك ... إلخ. حَفيف الغابة. روبي يعزف اللحن.)

إل: كان لكِ، أقصد، كان لنا طفل؟

كلير تساخاناسيان: هذا حق.

إل: أكان ولدًا أم بنتًا؟

كلير تساخاناسيان: بنتًا.

إل: بماذا سميَّتِها؟

كلير تساخاناسيان: جينيفييف.

إل: اسم جميل.

كلير تساخاناسيان: لم أرَ هذه المخلوقة إلا مرة واحدة، عند الولادة، ثم أُخذَت مني، أخذَتْها جمعية الرعاية المسيحية.

إل: العينان؟

كلير تساخاناسيان: كانَتا لا تزالان مُغمضتَين.

إل: الشَّعْر؟

كلير تساخاناسيان: أَسْود، على ما أعتقد، نعم شَعْر الوليد يكون غالبًا أسود.

إل: هو ذاك.

(صَمْت. تدخين. قيثارة.)

إل: أين ماتت؟

كلير تساخاناسيان: لدى بعض الناس، نسيتُ الأسماء.

إل: عِلَّة موتها؟

كلير تساخاناسيان: التهاب في قشرة المخ، ربَّما شيء آخر كذلك، تلقَّيْت بطاقة بذلك من المكتب المختَص.

إل: في حالة الوفاة يُمكن تصديقه.

(صَمْت.)

كلير تساخاناسيان: كلَّمْتُك عن ابنتنا، كلِّمْني الآن عن نفسي.

إل: عن نَفْسِك؟

كلير تساخاناسيان: عمَّا كنتُ، عندما كان عمري سبعة عشر ربيعًا، عندما كنتَ تحبني.

إل: اضطُررتُ مرة للبحث عنكِ طويلًا في شونة بييتر، عثرْتُ عليكِ في العربة، وكنتِ لا ترتدين سوى قميص وبين شفتيك قشة.

كلير تساخاناسيان: كنتَ قويًّا شجاعًا، تصارعْتَ يومها مع عامِل السكك الحديدية الذي كان يلاحقني، ومسحت أنا الدم من وجْهِك بقميصي الأحمر.

(القيثارة تَكُف عن العزف.)

كلير تساخاناسيان: انتهى اللحن.

إل: أيضًا: «يا وطني الحلو الحبيب».

كلير تساخاناسيان: يعرفه روبي كذلك.

(عَزْف آخر على القيثارة.)

إل: أشكرُكِ على باقات الزهور، على زَهْرات الأقحوان وعلى الورود، جميل منظرها على النعش في «الرسول الذهبي». راقية جدًّا، إنَّها حتى الآن تملأ قاعتين، لقد بلغ الأمر هذا الحد، فها نحن نجلس الآن للمرة الأخيرة في غابتنا المليئة بشَقْشَقة الوقواق وحفيف الريح، وفي مساء هذا اليوم يجتمع مجلس البلدة؛ سيحكمون بإعدامي وسيقتُلني أحدهم، لا أعرف من سيكون ولا أين سيحدث ذلك، إنَّما أعرف فقط أنَّني أُنْهي حياة عارية من المعنى.

كلير تساخاناسيان: سأنقلك في نَعْشك إلى كابري؛ أقمتُ لك ضريحًا في حديقة قصري، حوله شجر السرو، يُطلُّ على البحر المتوسط.

إل: أعرفه من الصور فحسب.

كلير تساخاناسيان: أزرق داكن، منظر رائع. هناك مُستقَرُّك. ميت مع صنم من الصخر. حُبُّك مات منذ أعوام طوال، حبي لم يستطع الموت، ولم يستطع الحياة أيضًا، تحوَّل إلى شيء شِرِّير مِثلي تمامًا، مثل الفُطْر الباهت والجذور العمياء في هذه الغابة تحت أكداس من ملياراتي الذهبية. ملياراتي الذهبية هاجمَتْك، مدَّت إليك مخالبها تطلب حياتك؛ لأنَّ حياتك ملكي إلى الأبد، والآن تضُمُّك المخالب، والآن تنتهي، بعد قليل لن يبقى شيء في ذاكرتي سوى حبيب ميت، شبح رقيق في غلالة ممزقة.

إل: والآن انتهى، أيضًا لحن «يا وطني الحلو الحبيب».

(الزوج ٩ يعود.)

كلير تساخاناسيان: الحائز على جائزة نوبل، يأتي من أطلاله، هه، تسوبي؟
الزوج ٩: من العصر المسيحي الأول، حطمها «الهون».
تساخاناسيان: خسارة. ذراعك. الهودج يا روبي، ويا توبي.

(تَرْقى الهودج.)

كلير تساخاناسيان: وداعًا يا ألفريد.
إل: وداعًا، يا كلارا.

(يُحمَل الهودج إلى الخلف. إل يظل جالسًا على المقعد. الشجرات تتخَلَّص من أغصانها. من أعلى تنزل بوابة مسرحية بالستائر والزينات المألوفة، لافتة عليها: الحياة عابسة، الفن مرح. من ناحية المؤخِّرَة يأتي الشرطي في زي رسمي جديد بديع، يجلس مع إل. مُراسِل إذاعي يأتي، يَشرَع في التكلُّم في الميكروفون في حين يتجمع أهل جوللين. الجميع في ملابس جديدة احتفالية، الجميع في حُلل فراك. في كل مكان مُصوِّرون صحفيون، رجال صحافة، آلات تصوير سينمائية.)

المذيع: سيداتي، سادتي، بعد التسجيلات التي أخذْنَاها في البيت الذي وُلِدت فيه السيدة، وبعد حديثنا مع القس؛ نشارك الآن في حفل من حفلات البلدة، إنَّنا الآن نَصِل إلى ذروة الزيارة التي تقوم بها السيدة كلير تساخاناسيان لبلدتها الجذابة الممتعة. نعم إنَّ السيدة الشهيرة لن تَحضر شخصيًّا ولكن العمدة سيُلقي بيانًا هامًّا باسمها. نحن الآن في قاعة المسرح «بالرسول الذهبي»، ذلك الفندق الذي أمضى فيه جوته إحدى لياليه. على المسرح الذي يُستخْدَم عادة لحفلات الجمعيات وحفلات الفِرَق الزائرة القادمة من مسرح كالبرشتات، يَتجمَّع الرجال الآن وفقًا لعادة قديمة — كما ذكر لنا العمدة لتوه. النساء يحتلِلْن أمكنة المتفرِّجين، وهذا أيضًا تقليد قديم. جو احتفالي، التلهُّف خارق للمألوف، الجرائد السينمائية ماثلة معنا هنا، وكذلك زملائي في التلفزيون، ومُراسِلون من جميع أنحاء العالم، والآن تبدأ كلمة العمدة.

(المراسِل يذهب بالميكروفون إلى العمدة الذي يقف وسط المسرح ومِن حوله رجال جوللين يقفون في نصف دائرة.)

العمدة: أُرحِّب بمجلس مدينة جوللين، وأَفتتِح الجلسة. موضوع البحث واحد فقط، يُشرِّفني أن أكون أنا الذي أعلن إليكم أنَّ السيدة كلير تساخاناسيان، ابنة مُواطِننا الخطير المهندس المعماري جوتفريد فيشر؛ تنوي إهداءنا مليارًا.

(تهامُس يسْري بين رجال الصحافة.)

العمدة: خمسمائة مليون للبلدة، وخمسمائة مليون تُوزَّع على الأفراد.

المذيع (بصوت مُنخفِض): سيداتي سادتي، حدث هائل، عمل سيحوِّل أهل البلدة بضربة واحدة إلى أثرياء، ويُعتَبر بالإضافة إلى ذلك تجربة من أعظم التجارب الاجتماعية في عصرنا؛ لذلك صَمَت مجلس البلدة كالمذهول. سكون مطبق. تأثر يبدو على كل الوجوه.

العمدة: والآن أعطي الكلمة للمعلم.

(مراسل الإذاعة يقترب بالميكروفون من المعلم.)

المعلم: يا أهل جوللين! ينبغي أن يكون واضحًا لنا أنَّ السيدة كلير تساخاناسيان تقصد بهذه الهدية شيئًا مُعَينًا. ما هو هذا الشيء المعَيَّن؟ هل تريد أن تسعدنا بالمال، أن تُغدق علينا المال تلالًا، أن تُنقِذ مصانع فاجنر، ميدان الكوخ المشمس، مصانع بو كمان؟ إنَّكم تَعلَمون أنَّ الأمر غير ذلك. السيدة كلير تساخاناسيان تهدف إلى ما هو أهم من ذلك، إنَّها تريد العدل مقابل مليارها هذا، تريد العدل، إنَّها تريد أن تُحوِّل كياننا الاجتماعي إلى كيان يتصف بالعدل، وقد أذهلنا هذا الطلب، ألم نكن إذن كيانًا اجتماعيًّا عادلًا؟

الأول: كلَّا.

الثاني: فقد رَضِينا جريمة ارتُكِبت.

الثالث: حكم جائر.

الرابع: شهادة زور.

صوت امرأة: نذل.

أصوات أخرى: هذا عين الحق.

المعلم: أهل جوللين، هذا هو الواقع المرير؛ لقد رضينا الظلم، إنَّني أعترف كل الاعتراف بالمزايا المادية التي يُحقِّقها المليار، ولست أغفل مُطلقًا عن أنَّ الفقر سبَّب الكثير من الموبِقات، المريرة، ومع ذلك فإنَّ الأمر لا يتعلَّق بالمال (استحسان هائل)، لا يَتعلَّق بالرخاء والحياة الرغدة والتَّرَف، إنَّما الأمر يتعلَّق هنا بما إذا كنتم تريدون تحقيق العدالة، وليس العدالة فحَسْب، بل المُثل الأخرى التي عاش أسلافنا من أجْلِها وكافَحُوا من أجْلِها وماتوا

في سبيلها، والتي تُمثِّل قيمة بلادنا الغربية (استحسان هائل)، إنَّ الحرية تتعرَّض للخطَر عندما تُمتَهن محبة الآخرين، عندما تُخالَف الوصية[١٧] النَّاصة على مساعدة الضعاف، عندما تُهان عقدة الزواج، عندما تُخدع محكمة، عندما يُقذَف بأم إلى البؤس (صيحات استنكار)، إنَّ علينا بحق الله أن نقف مِن مُثُلنا موقف الجد، الجد الدامي (استحسان هائل)، والثورة لا معنى لها إلا إذا تمخَّضت عن ثروة في الغفران، والغفران لا يكون إلا لمن به جوع إليه، هل بكم هذا الجوع، يا أهل جوللين، جوع الروح، وليس جوع الجسد الدنيوي فحسب؟ هذا هو السؤال الذي يطيب لي كعميد للمدرسة الثانوية أن أُلقيه عليكم. إذا لم تكونوا تَحتَمِلون الشر، لم تعودوا قادرين بأي حال من الأحوال على العيش في دنيا من الظلم، في هذه الحالة فقط لكم أن تَقبَلوا مليار السيدة تساخاناسيان وتُوفوا بالشرط المعلَّق على منحه، هذا يا أهل جوللين ما أرجو أن تَذكُروه.

(استحسان مُدوٍّ.)

المذيع: إنَّكم تسمعون تصفيق الاستحسان، سيداتي، سادتي. إنَّني جد مأخوذ. إنَّ كلمة العميد برهان على عظمة أخلاقية لا توجد للأسف كثيرًا في الوقت الحاضر، لقد تناوَل بكل شجاعة التنويه بمساوئ عامة، وأنواع من الظلم تحدث في كل جماعة، بل في كل مكان فيه بشر.

العمدة: ألفريد إل.

الجميع: يعود العمدة إلى الكلام.

العمدة: يا ألفريد إل، عندي سؤال أوجِّهُه إليك.

(الشرطي يكز إل وكزة. إل ينهض. المذيع يأتي إليه بالميكروفون.)

المذيع: والآن تَسمَعون صوت الرجل الذي يتوقَّف على الرأي الذي سيُدلي به تقرير المنحة، صوت ألفريد إل، صديق صِبا فاعلة الخيرات. ألفريد إل رجل قوي البِنْية في نحو السبعين من عمره، جولليني عتيق، نشأ على البر والقشر العتيق،[١٨] يبدو عليه التَّأثُّر بطبيعة الحال، تفيض نَفْسُه بالعرفان، والرضا، والسكون.

[١٧] الوصية هنا من الوصايا العشر المعروفة عند أهل الكتاب.

[١٨] دلالة على الأصالة.

العمدة: عُرضت علينا المنحة من أجلِك أنتَ يا ألفريد إل! هل تعرف ذلك؟

(إل يقول شيئًا بصوت مُنخفِض.)

المذيع: لا بد أن ترفع صوتك، أيها الشيخ الطَّيِّب، حتى يسمع مستمِعُونا ومستمِعَاتنا شيئًا.

إل: نعم.

العمدة: هل ستحترم قرارنا بقبول أو رفض وقْفِيَّة كلير تساخاناسيان؟

إل: سأحترمه.

العمدة: هل يودُّ أحدكم أن يُوجِّه إلى إل سؤالًا؟

(صمت.)

العمدة: هل لدى أحدكم مُلاحَظة على منحة السيدة تساخاناسيان؟

(صمت.)

العمدة: السيد القس؟

(صمت.)

العمدة: السيد طبيب البلدة؟

(صمت.)

العمدة: الشرطة؟

(صمت.)

العمدة: المعارَضَة السياسية؟

(صمت.)

العمدة: والآن نأخذ الأصوات.

(سكون لا يقطعه إلا أزيز أجهزة السينما، وبريق أضواء التصوير.)

العمدة: من يريد أن يُحقِّق العدل بقلب نَقِي، يرفع يده.

(الجميع يرفعون أيديهم ما عدا إل.)

المذيع (سُكون تفكُّر وتأمُّل في قاعة المسرح)**:** لا شيء سوى بحر واحد من الأيدي المرفوعة، كأنَّه تصميم هائل لتحقيق عالم أفضل، عالم أكثر عدلًا، أمَّا الرجل العجوز الذي يجلس بلا حراك ويطغى عليه الفرح؛ فقد تحقَّق هدفه، قُرِّرت المنحة بفضل صديقة صِباه البارَّة.

العمدة: قُبِلت منحة كلير تساخاناسيان بالإجماع.

مجلس البلدة: لا بسبب المال.

العمدة: وإنَّما من أجل العدل.

مجلس البلدة: وإنَّما من أجل العدل.

العمدة: وبسبب وَخْز الضمير.

مجلس البلدة: وبسبب وخز الضمير.

العمدة: لأنَّنا لا يُمكن أن نعيش ونحن نرضى عن جريمة ارتُكِبت بين ظهرانينا.

مجلس البلدة: لأنَّنا لا يُمكن أن نعيش ونحن نرضى عن جريمة ارتُكِبت بين ظهرانينا.

العمدة: جريمة ينبغي علينا اقتلاعها.

مجلس البلدة: جريمة ينبغي علينا اقتلاعها.

العمدة: حتى لا تُصاب أنفسنا بسوء.

مجلس البلدة: حتى لا تُصاب أنفسنا بسوء.

العمدة: ونعِمُنا المقدَّسة.

مجلس البلدة: ونعِمُنا المقدَّسة.

إل (يصرخ)**:** ربَّاه.

(الجميع يقفون بصورة احتفالية رافعِين أيديهم، إلا أنَّ عُطلًا أصاب آلة الجريدة الأسبوعية السينمائية.)

المصور السينمائي: خسارة، يا سيادة العمدة. لقد تعطَّل جهاز الإضاءة، من فضلك الاقتراع النهائي مرة أخرى.

العمدة: مرة أخرى؟

المصور السينمائي: للجريدة السينمائية الأسبوعية.

العمدة: طبعًا.

المصور السينمائي: أجهزة الإضاءة جاهزة؟

صوت: تمامًا.

المصور: إذن هيًّا.

(العمدة يجلس مُتَّخذًا وَضْع مَن يتهيأ للتصوير.)

العمدة: من يريد أن يُحقِّق العدل بقلب نقي؛ يرفع يده.

(الجميع يرفعون أيديهم.)

العمدة: قُبِلت منحة كلير تساخاناسيان بالإجماع.
لا بسبب المال.

مجلس البلدة: لا بسبب المال.

العمدة: وإنَّما من أجل العدل.

مجلس البلدة: وإنَّما من أجل العدل.

العمدة: وبسبب وخز الضمير.

مجلس البلدة: وبسبب وخز الضمير.

العمدة: لأنَّنا لا يُمكن أن نعيش ونحن نرضى عن جريمة ارتُكِبت بين ظَهْرانينا.

مجلس البلدة: لأنَّنا لا يُمكن أن نعيش ونحن نرضى عن جريمة ارتُكِبت بين ظَهْرانينا.

العمدة: جريمة ينبغي علينا اقتلاعها.

مجلس البلدة: جريمة ينبغي علينا اقتلاعها.

العمدة: حتى لا تُصاب أنفسنا بسوء.

مجلس البلدة: حتى لا تُصاب أنفسنا بسوء.

العمدة: ونِعَمنا المقدَّسة.

مجلس البلدة: ونِعَمنا المقدَّسة.

(سكون.)

المصور السينمائي (بصوت مُنخفِض)**:** إل، هه؟

(سكون.)

المصور السينمائي (وقد خاب أمله)**:** لا، إذن. هذه خسارة كبيرة ألَّا تُذْكَر صيحة الفرح «ربَّاه» هذه المرة؛ فقد كانت مُؤثِّرة بصفة خاصة.

العمدة: السادة رجال الصحافة والإذاعة والسينما مَدْعُوُّون لوجبة خفيفة في المطعم، الأفضل أن تغادروا قاعة المسرح من الباب الخشبي، وقد أُعِد للسيدات الشاي في حديقة «الرسول الذهبي».

(رجال الصحافة والإذاعة والسينما يخرجون من الخلف من ناحية اليمين. الرجال يظلون واقِفِين بلا حراك على المسرح. إل ينهض، يَهم بالانصراف.)

الشرطي: انتظر.

(يجلس إل على المقعد الخشبي قصدًا.)

إل: أتريدون التنفيذ اليوم؟

الشرطي: طبعًا.

إل: فَكَّرتُ أنَّ الأفضل أن يكون التنفيذ عندي.

الشرطي: سيجري هنا.

العمدة: ألم يَعُد أحد في أماكن المتفرِّجِين؟

(الثالث والرابع ينظران إلى أسفل مُفتِّشِين.)

الثالث: لا أحد.

العمدة: في الشُّرْفة؟

الرابع: فارغة.

العمدة: أَغْلِقوا الأبواب، ليس لأحد بعد الآن أن يطأ القاعة.

(يذهب الاثنان ناحية أماكن المتفَرِّجِين.)

الثالث: أُغْلِقت.

الرابع: أُغْلِقت.

العمدة: أَطفِئوا الأنوار؛ فالقمر يُضيء من خلال نوافذ الشُّرْفة، وفي هذا الكفاية.

(المسرح يُظلم. في الضوء القمري الخافِت لا يَرَى الناس بوضوح.)

العمدة: كونوا صَفَّيْن مُتوازِيَين.

(أهل جوللين يكونون صَفَّين مُتوازِيَين، اللاعب الرياضي يقف عند آخرهما وهو يرتدي بنطلونًا أبيض أنيقًا، وعلى صدره رمز أحمر فوق القميص.)

العمدة: السيد القس، تفضَّل.

(القس يذهب في بُطء إلى إل، يجلس معه.)

العمدة: هه يا إل، لقد حَلَّت ساعتك العسيرة.
إل: سيجارة.
القس: سيجارة يا سيادة العمدة.
العمدة: طبعًا، سيجارة جيدة من نوع خاص.

(يُقدِّم العلبة إلى القس الذي يقدمها إلى إل. إل يأخذ سيجارة، الشرطي يُشعِلها له، القس يُعيد العلبة إلى العمدة.)

القس: قال النبي عاموس.
إل: لا من فضلك.

(إل يدخن.)

القس: هل أنت خائف؟
إل: لم يَعُد خوفي كبيرًا.

(إل يدخن.)

القس (وقد أُسقِط في يده)**:** سأُصلِّي من أجْلِك.
إل: بل صلِّ من أجل جوللين.

(إل يدخن. القس ينهض ببطء.)

القس: ليرحمنا الله.

(القس يندمج ببطء في صفوف الآخَرِين.)

العمدة: انهض، يا ألفريد إل.

(إل يَتردَّد.)

الشرطي: قف يا خنزير.

(يدفعه إلى أعلى بعنف.)

العمدة: أيُّها الشرطي، تَمالَك نَفْسَك.
الشرطي: لا تُؤاخذني.
العمدة: تعالَ يا ألفريد إل.

(إل يُلقي السيجارة، يَدوسها بقدمه ثم يذهب ببطء إلى مُنتَصف المسرح، فيدور حتى يكون ظَهْره ناحية الجمهور.)

العمدة: ادْخُل بين الصفين.

(إل يَتردَّد.)

الشرطي: هه، هيا.

(إل يدخل بين صَفَّي الرجال الصامِتِين. في المؤخِّرة يقف اللاعب الرياضي في وجهه. إل يظل واقفًا، يدور حول نفسه، يرى كيف ينطبق الصَّفَّان عليه في قسوة، يَخِر على ركبتيه. الصَّفَّان يَتحوَّلان إلى جَمْع مُضطرب من الناس، عديم الصوت، يتزاحم، يجلس ببطء. سكون. من ناحية اليسار من الأمام يُقْبِل صحفيون. يُنار المكان.)

الصحفي ١: ماذا يحدث هنا؟

(الجمع المحتَشِد من الناس يتَفَكَّك. الرجال يَتجمَّعُون في المؤخِّرة صامِتِين. لا يبقى منهم إلا الطبيب، يركع أمام جثة بُسط عليها مَفْرش ذو مُربَّعات، من المفارش التي تُستَعْمل لموائد المطاعم. الطبيب ينهض. ينزع السماعة.)

الطبيب: نوبة قلبية.

(سكون.)

العمدة: مات من الفرحة.
الصحفي ١: مات من الفرحة؟
الصحفي ٢: الحياة تكتب أجمل القصص.
الصحفي ١: إلى العمل، هيًّا.

(الصحفيان يُسرعان ناحية اليمين إلى الخلف. من اليسار تأتي كلير تساخاناسيان، يَتْبَعها مدير الأعمال؛ ترى الجثة، تظل واقفة، تسير ببطء حتى مُنتَصف المسرح، تدور ناحية الجمهور.)

كلير تساخاناسيان: هاتوه.

(روبي وتوبي يأتيان بنَقَّالة، يُرقِدان إل عليها ويَضعانِه تحت قَدمَي كلير تساخاناسيان.)

كلير تساخاناسيان: بلا تأثُّر، اكشف عنه يا بوبي.

(مدير الأعمال يكشف وجه إل. تتأمَّلُه طويلًا بلا تَأثُّر.)

كلير تساخاناسيان: لقد عاد مرة ثانية إلى ما كان عليه قبل وقت طويل، هذا النمر الأسود، غَطِّه.

(مدير الأعمال يُغطِّي الوجه ثانية.)

كلير تساخاناسيان: احملوه إلى النعش.

(روبي وتوبي يخرجان بالجثة من ناحية اليسار.)

كلير تساخاناسيان: خذني إلى حجرتي يا بوبي، دَعْهم يحزمون الحقائب؛ سنُسافر إلى كابري.

(مدير الأعمال يُقدِّم إليها ذراعه، تتجه إلى اليسار خارجة، تتوقف.)

كلير تساخاناسيان: يا عمدة.

(من الخلف، من بين الرجال الصامِتِين، يُقْبِل العمدة بتُؤَدة إلى الأمام.)

كلير تساخاناسيان: الشيك.

(تُقدِّم إليه ورقة وتخرج مع مدير الأعمال.)

(إن كان التحَسُّن التدريجي الذي يبدو على الملابس قد ظلَّ يُعبِّر عن الرخاء المتزايد تعبيرًا ضمنيًّا بعيدًا عن المبالَغة؛ فإنَّه أبْعَد مِن أن يمر غير ملحوظ، وإن كانت ساحة المسرح قد ظلَّت تبعًا لذلك تزداد جاذبية وتَغيُّرًا، وتتسلق سُلَّم الصعود الاجتماعي، كما لو كان المرء ينتقل دون ما يَلفِت النظر من حي سكني فقير إلى مدينة حديثة رفيعة القَدْر، ويزداد ثراءً؛ فإنَّ هذا الصعود يبلغ هنا في الصورة الختامية قمة العظمة. الدنيا التي كانت قائمة تحوَّلت إلى شيء فَنِّي لامِع بَرَّاق، تحوَّلت إلى ثراء، وانتهت إلى دنيا النهاية السعيدة. أعلام وأُصُص ولافتات، أنوار نيون تُحيط بالمحطة المجدَّدة، وإلى جانبها أهل جوللين، نساء ورجال في ملابس السهرة وبِدَل الفراك يُكوِّنون جوقتين قَريبَتَي الشبه بكورس التراجيديا الإغريقية، لا عن طريق المصادَفة، وإنَّما بقصد تحديد مركز هام، يَكُون نشيدهما كما لو كانت ثمة سفينة مُشرِفة على الغَرَق، يجرفها الموج بعيدًا، وهي تُصدِر الإشارات الأخيرة.)

الجوقة ١: الفظائع كثيرة؛\
زلازل هائلة،\
جبال تنفث النيران، فيضانات البحار، وحروب أيضًا، دبابات تخترق حقول القمح لها صليل.\
الضياء الشمسي للقنبلة الذَّرِّية.\
الجوقة ١: لكن ليس هناك شيء أفظع من\
الفقر؛\
فإنَّه لا يعرف المغامَرة،\
في غير شفقة يحيط بالجنس البشري،\
ويضيف\
أيامًا قفرة إلى يوم قفر.\
النسوة: ترى الأمهات، وهن عاجزات،\
عزيزًا يزوى أمامهن من السقم.

الرجال: أمَّا الرَّجُل،

فيتمرَّد في تصميم،

ويفكر في الخيانة.

الأول: يَتجوَّل في أحذية رديئة.

الثالث: بعشب قبيح الرائحة بين الشفتين.

الجوقة ١: لأنَّ أماكن العمل التي كانت قديمًا تُؤْتي لقمة العيش قد أصبحت خالية.

الجوقة ٢: والقطارات المنطَلِقة كانت تتحاشَى هذا المكان.

الجميع: طوبى لنا.

زوجة إل: أتانا قَدَر صديق.

الجميع: فغَيَّر كل هذا.

النسوة: الملابس لائقة تحيط الآن القَدَّ الرقيق.

الابن: والصبي يقود السيارة الرياضية.

الرجال: السيارة الليموزين يقودها التاجر.

الابنة: البنت تجري وراء الكُرَة فوق ساحة حمراء.

الطبيب: في غرفة عمليات جديدة حيطانها من القيشاني الأخضر؛ يجري الطبيب عملياته الجراحية وهو في غاية السرور.

الجميع: العشاء.

يتصاعد دخانه في البيت. وبسرور وقد ارتدى ثوبًا قَشيبًا، يَنْعَم كلُّ واحدٍ منَّا بوجبة خضار أطيب من ذي قبل.

المعلم: وفي شغف جارٍ بالمعرفة يتعلم الشَّغُوفون بالتعليم.

الثاني: كنوز فوق كنوز تُوفِّرها لنا الصناعة النشيطة.

الجميع: سواء أكان الأمر يتعلق برمبرانت أم بروبنس.[١٩]

---

[١٩] من أعظم المصوِّرين على وجه الإطلاق. رمبرانت هولندي، ولد عام ١٦٠٦م ومات عام ١٦٦٩م مخلِّفًا لوحات ورسومات يربو عددها على الـ ٧٠٠، كلها من الروائع. أما روبنس فبلجيكي (فلامي)، وُلِد في مدينة زيجن في منطقة الراين الألمانية عام ١٥٧٧م ومات عام ١٦٤٠م. كان ديبلوماسيًّا بالإضافة إلى اشتغاله بالتصوير، وقد ذاعت شهرته في أوروبا قاطبة، وصَوَّر في بلدانها المختلفة؛ في إيطاليا، وفرنسا، وإسبانيا، وإنجلترا، وهولندا، وتَرَك لوحات عديدة تُعتَبر من الروائع الفنية. (المترجم)

المصور: فإنَّ الفن أصبح يُقِيم أَود الفنان على خير وجه.
القس: في أعياد الميلاد، والقيامة، والعنصرة.
تَتشقَّق الكنيسة من تَدفُّق المسيحِيِّين إليها.
الجميع: والقطارات
البراقة العظيمة؛
تنطلق على قضبانها الحديدية
من مدينة مُجاوِرة إلى مدينة مُجاوِرة، عاملة على ربط السكان فيما بينهم، أصبحت من جديد تقف هنا.

(من ناحية اليسار يأتي المحصل.)

المحصل: جوللين.
ناظر المحطة: القطار السريع جوللين–روما، اركبوا من فضلكم. العربة الفاخرة في المقدِّمة.

(من المؤخِّرَة تُقْبِل كلير تساخاناسيان في هودجها، لا تُبدي حراكًا، كأنَّها صنم قديم من الصخر، وتمر بين الجوقتين تتبعها حاشيتها.)

العمدة: إنَّها راحلة.
الجميع: مَن أهدتنا فأَثْرَتنا.
الابنة: البارَّة.
الجميع: مع حاشيتها النبيلة.

(كلير تساخانسيان تختفي من اليمين في الخارج، في النهاية يَحمِل الخدم النعش على طول طريق طويل إلى الخارج.)

العمدة: إذن فوداعًا.
الجميع: تصحب معها عزيزَها، صَفِيَّها.
ناظر المحطة: القطار ينطلق.
الجميع: لكن ليحفظ لنا.
القس: رب.

الجميع: في هذا الزمن الساحق المتقَلِّب.
العمدة: الرخاء.
الجميع: لِيحفَظ لنا النِّعَم المقدَّسة، ليحفظ السلام.
لِيحفَظ الحرية.
وليُبْقِ الظلام بعيدًا عنَّا.
ولْنعمل على ألَّا نَظْلِم أبدًا بلدتنا.
بلدتنا الزاهرة الجديدة النشأة.
حتى نتمَتَّع نحن بالسعادة في أسعد الظروف.

ملحوظة

زيارة السيدة العجوز قصة تجري وقائعها في مكان ما بأوروبا الوسطى، ببلدة صغيرة، كَتَبها إنسان لا يُباعِد بين نفسه وبين هؤلاء الناس قط، ولا يعرف بالتأكيد ما إذا كان يتصرف على نحو آخر لو وُضِع موضعهم. أمَّا ما بالقصة من أمور تربو على ذلك فلا حاجة للتصريح بها هنا، ولا لإخراجها على خشبة المسرح. وينطبق هذا الكلام كذلك على ختام المسرحية. والحق أنَّ الناس في المنظر الختامي يتكلَّمون لغة فيها احتفالية أكثر ممَّا في طبيعة الواقع، أقرب إلى ناحية ذلك الشيء الذي يُسمى أدبًا أو تأنقًا في اللغة، وما هذا إلا لأنَّ أهل جوللين قد صاروا في تلك الفترة أغنياء يتحدثون لغة مُحْدِثي النعمة. إنَّني أَصِف بشرًا لا دُمًى، أصف حدثًا لا أتكلم بالمجاز، أعْرِض عالَمًا ولا أعرض — كما يَدَّعي البعض — أخلاقًا، بل إنَّني لا أحاول البتَّة أن أضاهي قطعتي هذه على العالم؛ فإنَّ هذه الأشياء كلها تحدث طبيعية من تلقاء ذاتها ما دام الجمهور في حوزة المسرح. في رأيي أنَّ المسرحية تُؤدَّى حسب إمكانية المسرح، ولا تُؤدَّى في رداء أي أسلوب كان. فإذا مثَّل أهل جوللين أشجارًا فليس ذلك اتباعًا للسريالية، وإنَّما لكي يَدْفعوا بقصة الحب المؤلمة بعض الشيء، تلك القصة التي تجري في الغابة — أعني محاوَلة تَقَرُّب شيخ عجوز من امرأة طاعنة في السن — أقول لِيدفعوا بهذه القصة إلى مجال مسرحي شِعْري ويجعلوها بهذه الوسيلة محُتمَلة. إنَّني أكتب عن إيمان بالمسرح، وبالممثِّل الكامن فِيَّ بالقوة، هذا هو دافِعي الأساسي؛ فالموضوع يجتذبني، ولا يصح أن يعمل الممثل إلا قليلًا على تمثيل أُناس، بل على تمثيل البشرة الخارجية فَحَسْب، أَعْني تمثيل النص الذي ينبغي بلا مِراء أن يكون صحيحًا، أقصد: كما أنَّ الكائن الحي العضوي يتم بتكوين البشرة، تكوين شيء

ظاهري خارجي، كذلك المسرحية تتم باللغة. المؤلف المسرحي لا يُنتِج سوى اللغة، اللغة إنتاجه؛ لهذا باتَ من غير الممكن أن يشتغل المرء باللغة ذاتها، وإنَّما بذلك الشيء الذي يصنع اللغة، بالفكرة، بالحدث مثلًا، ولا يشتغل باللغة في ذاتها وبالأسلوب في ذاته إلا الهواة، وواجب المَمَثِّل في اعتقادي؛ هو التوصُّل إلى النتيجة ذاتها مرة أخرى، فما كان فَنًّا وجب أن يبدو طبيعة. فليؤدِّ المؤَدُّون الظاهر صحيحًا كما أُقدمه، فسيظهر الباطن من تلقاء ذاته. أنا لا أعتبر نفسي ضمن طليعة هذه الأيام، وإن كانت لي نظرية فَنِّية خاصة، فأنا ككل إنسان، لا أُعجب بكل شيء، ولكني أَحتَجز نظريتي في صدري، مُعتبرًا إياها رأيًا خاصًّا، (وإلَّا لكان عليَّ أن أتبعها)، وأعتبر نفسي صَبيًّا على الفِطْرة، مُضطربًا بعض الشيء، ذا إرادة منقوصة فيما يتعلق بالشكل. ليخرجني المخرِجون في الاتجاه الذي تسير فيه التمثيليات الشعبية، وليعاملوني على أني من نوع «نيسترُوي»[٢٠] عن وعي، فيكونوا أقرب إلى أمري. ليلتزموا خواطري، وليُخَلُّوا سبيل المغزى العميق، وليُرَاعوا تغيير المشاهد بدون تَوقُّف، وبدون إسدال ستار، ولْيُمَثَّل مشهد السيارة ببساطة، والأفضل أن تُستَخدم سيارة مسرحية عليها الأجزاء الضرورية للتمثيل فحسب: عجلة القيادة، قضيب التصادم، ويجب أن تبدو السيارة من مقدمتها، على أن تُعلَّى المقاعد الخلفية. كل هذه الأجزاء لا بد بطبيعة الحال أن تكون جديدة، جديدة كالأحذية الصفراء … إلخ. (هذا المشهد لا شأن له بـ «وايلدر»؛[٢١] لماذا؟ هذه مسألة جدلية من اختصاص النقَّاد). كلير تساخاناسيان لا تُمثِّل

[٢٠] يوهان نيبوموك نيسترُوي (١٨٠١–١٨٦٢م) مؤلِّف وممثِّل كوميدي نمساوي، حوَّل اتجاه الكوميديات الشعبية المحلية في عصره إلى النقد الاجتماعي المحبوب، وإلى الالتفات إلى مشاكل الساعة، وإلى الموضوعات الواقعية، وأبعدها عن الجو البحري القديم؛ فحقَّ اعتباره مؤسِّسًا للكوميديا المحلية لفيينا. من كوميدياته المعروفة «على الأرض وفي الدور الأول». (المترجم)

[٢١] ثورنتن وايلدر (وُلِد عام ١٨٩٧م) من أشهر الأدباء الأمريكان في الوقت الحاضر، وأعظمهم إنتاجًا، وأكثرهم ارتباطًا بالثقافة الأوروبية. تلقَّى دراسته الأولى في الصين؛ حيث كان أبوه قنصلًا عامًّا لبلاده هناك، ثم عاد مع اندلاع الحرب العالمية الأولى إلى أمريكا، واشتغل بدراسة اللغات الحديثة، ثم سافر إلى أوروبا فتابع دراسته هناك. فلمَّا عاد إلى وطنه عمل مدرسًا للأدب في جامعة شيكاغو. وهو الآن أستاذ الأدب في جامعة هارفارد. يتميَّز وايلدر بالاتجاه الإنساني الأخلاقي المتعلق بالإيمان، كما يتميَّز من ناحية التكنيك المسرحي بالجرأة فيما يُسمَّى بالمسرح المجرَّد عن الأوهام، مثلًا من أوهام المكان والزمان، والذي يرفع فيه الجسر بين الميت والحي. ويهتم وايلدر بصفة خاصة بتطورات الإنسان في سبيل حياة جديدة الشكل وسط العالم الذي ضاع منه الإيمان. يشمل إنتاج وايلدر إلى جانب المسرحيات؛ روايات

العدل ولا مشروع مارشال[٢٢] ولا الرؤيا[٢٣] اليوحنية، لِتَكُن ما هي، أغنى امرأة في العالم، تُمكِّنها ثَروَتها من التصرُّف كبطلة من بطلات التراجيديا الإغريقية تَصرُّفًا مُطلقًا، فَظيعًا، كميديًا مثلًا. إنَّ لديها ما يُمكِّنها من ذلك، والسيدة ذات فكاهة، ذلك أَمْر لا ينبغي إغفاله؛ لأنَّ بينها وبين البشر بَونًا كما لو كانوا بضاعة تُشتَرى، كذلك بينها وبين نَفْسها ذاتها بَوْن، وهي بالإضافة إلى ذلك ذات طلاوة عجيبة وسحر شرير، ولكنَّها لَمَّا كانت تتحرك خارج النظام الإنساني أصبحت شيئًا لا تبديل له، شيئًا جامدًا، لم يَعُد يَعْتريه تطوُّر، اللهم إلا أن يتحوَّل إلى صخر، إلى صنم. إنَّها ظاهرة أدبية، كذلك حاشيتها، وحتى الخَصِيَّان اللذان لا داعي لإظهارهما واقعيًّا مُنفِّرَين لهما صوت الخِصْيَان، بل ينبغي إظهارهما على نحو غير واقعي على نحو ما في الحكايات، مُنْخفِضَي الصوت كالأشباح في سعادتهما الوهمية، ضَحِيَّتَي انتقام كامل منطقي منطقيةَ قوانين العصور القديمة. (بُغية تسهيل الأدوار يَصِح أن يتناوب الاثنان الكلام بدلًا من أن يَتكلَّما في آنٍ واحد، وفي هذه الحالة لا تُكرَّر العبارات مرة ثانية). وإذا كانت كلير تساخاناسيان جامدةً لا تتغيَّر ولا تتطوَّر، إذا كانت بطلة من أول الأمر؛ فإنَّ حبيبها القديم يَتطوَّر ليصبح بطلًا هو الآخَر؛ فهو بَقَّال قذر، يقع ضحية في بادئ الأمر دون أن يَتوقَّع شيئًا، مُذْنِب يرى أنَّ الحياة لا بد أن تكون قد مَسحَت كل ذنب من تِلقاء ذاتها، رجل عديم التفكير، رجل بسيط، يتكشَّف له شيء ما ببطء، بسبب

مثل: «سيدة أندروس»، و«أفكار مارس». أمَّا مسرحياته فتُعتَبر بداية عصر جديد، مسرحيته الأولى «بلدتنا» عام ١٩٣٨م تُمثَّل على مسرح بلا ستار ولا ديكور، ويقوم مدير التمثيل بشرح أماكن الأحداث وبتقديم الأشخاص. أمَّا مسرحيته الثانية «جلد أسناننا» فيُحطِّم فيها كل النواحي الإيهامية للمسرح الواقعي، ويعرض لأسرة متوسطة عتيقة أفلتت من أهوال العصر الثلجي، ومن الطوفان، كرمز للإنسانية التي تخرج من الخطر المُحدق لتبدأ من جديد. كذلك ألَّف وايلدر مسرحيات من فصل واحد، ومسرحيات الثلاث الدقائق. من مسرحية «رحلة سعيدة»، التي تُمثِّل أسرة من مُحْدِثي النعمة، مُكوَّنة من أربعة أشخاص، تركب سيارة وتسير بها طوال بعض الطُّرُق الزراعية. ويجدُر أن نُشير هنا إلى اهتمام وايلدر هو كذلك بالكوميدي النمساوي نستروي إلى حد ترجمة بعض مسرحياته إلى الأمريكية مع توفيقها مع البيئة الأمريكية.

[٢٢] مشروع أَعدَّه عام ١٩٤٧م جورج مارشال وزير الخارجية الأمريكية في ذلك الوقت، يهدف إلى تقديم مساعدات إنمائية لإعادة بناء البلدان الأوروبية حتى تقف أمام الكتلة الشرقية.

[٢٣] كتاب منسوب إلى يُوحَنَّا الإنجيلي، يتنبَّأ فيه بمصير المسيحية، وبانتصارها على المسيح الدَّجَّال، والكتاب بالِغ الغموض حتى اتُّخِذ رمزًا للغموض Apokalypse.

الخوف، بسبب الرعب، شيء شخصي جدًّا، رجل خبر العدل على نفسه؛ لأنَّه اعترف بجرمه، رجل يزداد بموته عظمة، فموته لا يفتقر إلى عظمة ما.

أمَّا موته؛ فله معناه، ولا معنى له في وقتٍ واحدٍ معًا. فلو قلنا له معناه فَحَسْب؛ لكان حدثًا من أحداث العالم الميثولوجي في مدينة من العصور الغابرة، والقصة هُنا تجري في جوللين. وفي الوقت الحاضر يدخل أهالي جوللين في زمرة الأبطال، وهم بشر مثلنا جميعًا؛ فلا ينبغي أن يُصوَّروا على أنَّهم أشرار، مُطلَقًا، ففي الأول كانوا مُصمِّمين على رفض العرض. نعم إنَّهم يستدينون، وإنَّما دون أن يقصدوا إلى قَتْل إل من وراء ذلك، يستدينون عن حماقة، عن شعور بأنَّ كل شيء سيُسوَّى. على هذا النحو ينبغي إخراج الفصل الثاني، حتى مشهد المحطة، فهناك لا يُخالج الخوف إلا إل وَحْدَه؛ لأنَّه يُقدِّر موقفه، ولكن لا ينطق أحد بكلمة شر، فإذا أتى مشهد شونة بيتر وضح التحوُّل. إنَّ الكارثة لم يَعُد ثمة سبيل إلى تحاشيها؛ فمنذ هذه اللحظة يَستعِد أهل جوللين لقتل إل، ويبدو عليهم الحنق على خطيئة إل ... إلخ. إلا العائلة فإنَّها تُقْنِع نَفْسها حتى النهاية بأنَّ كل شيء سيُسوَّى، ذلك أنَّ العائلة إن لم تكن شريرة فإنَّها ضعيفة كالجميع. إنَّها تنقاد للإغراء ببطءٍ، مثل المعلم، ولكن هذا الانقياد لا بد أن يكون مقبولًا عقلًا؛ الإغراء بالغ القوة والفقر بالغ المرارة. السيدة العجوز قطعة من الشر؛ ولذلك بالذات لا ينبغي إخراجها على نحو شِرِّير، وإنَّما على نحو بالغ الإنسانية، بحزن لا بغضب، ولكن أيضًا بفُكاهة، فما من شيء يضرُّ بهذه الكوميديا التي تنتهي نهاية تراجيدية، إلا العَبَس البهيمي.

إضافة: المشهد الثاني بالمحل (الفصل الثالث) يُمكن تبسيطه بتَرْك المصوِّر. فإذا أريد الإخراج على هذا النحو لزم تغيير النص بحيث يكون) بهذا الشكل:

المعلم: إنَّك تُخيِّبِين أمَلي أيتها الابنة الصغيرة؛ كان المفروض أن تَتكلَّمي أنتِ، والآن يُضطر معلمكِ العجوز إلى الكلام بصوت هادر. أنا أحتجُّ أمام الرأي العام العالمي، أشياء فظيعة تتأهب في جوللين.

وثمة تغييرات أخرى من اليسير إدراكها. كذلك ينبغي إضافة ما يلي على الصفحة نفسها. بعد:

الأول: جُن؟

الثاني: اسكت.

الصحفي ١: «يا جماعة، اتْرُكوا الرَّجل الطَّيِّب يتكَلَّم.»

كذلك من الممكن الاكتفاء بصحفي واحد بدلًا من اثنين.


هنداوي